وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة د. مولاي الطاهر –سعيدة–

كلية : الآداب و اللغات و الفنون

قسم : اللغة العربية و آدابها

ماستر : النقد الأدبي عند العرب

موضوع المذكرة :

الحركة النقدية القديمة في المغرب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الادب العربي

من إعداد الطالبة :

* يزيد أسماء .

تحت إشراف

* أ . الدكتور : عبو عبد القادر

السنة الجامعية : 2015-2016

كلمـــة شكـر

إلى كل من له الفضل في مساعدتي على إنجاز هذا البحث المتواضع، أتقدم بالشكر الجزيل لهم جميعا، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور عبو عبد القادر الذي كان نعم المعين والسند وعلى صبره الجميل، فدعواتي وصلواتي أن يبلغه الله خير مبلغ.

جازى الله الجميع خير الجزاء، ونفع بعلمهم وعملهم، ووفقنا إلى خير العلم والعمل.

وأسأل الله تعالى التوفيق.

إهداء

إلـــــــى ..

من غرســـوا فـــي نفســـي حب العلـــم والمعرفـــة..

جدتـــي و والـــدي ووالدتـــي

من غمـــروني بفيض رعايتهـــم وحبهـــــم..

عمـــي وعماتـــي وإخواني وأخواتي وأخص بالذكر أختي فاطمة الزهراء

إلـــى كل من مـــد لي يد العـــون والمساعدة لإتمـــــام هذا العمـــل

لـــه ولهـــا ولهـــم أهـــدي هـــذا الجهـــد المتواضـــع

قال الله تعالى:﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات و الله بما تعلمون خبير﴾

المجادلة (11)

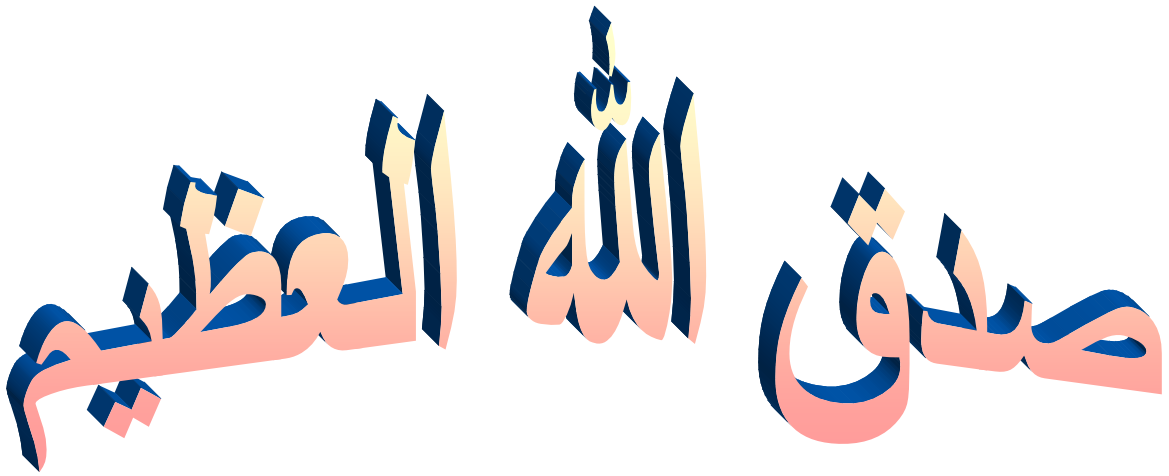

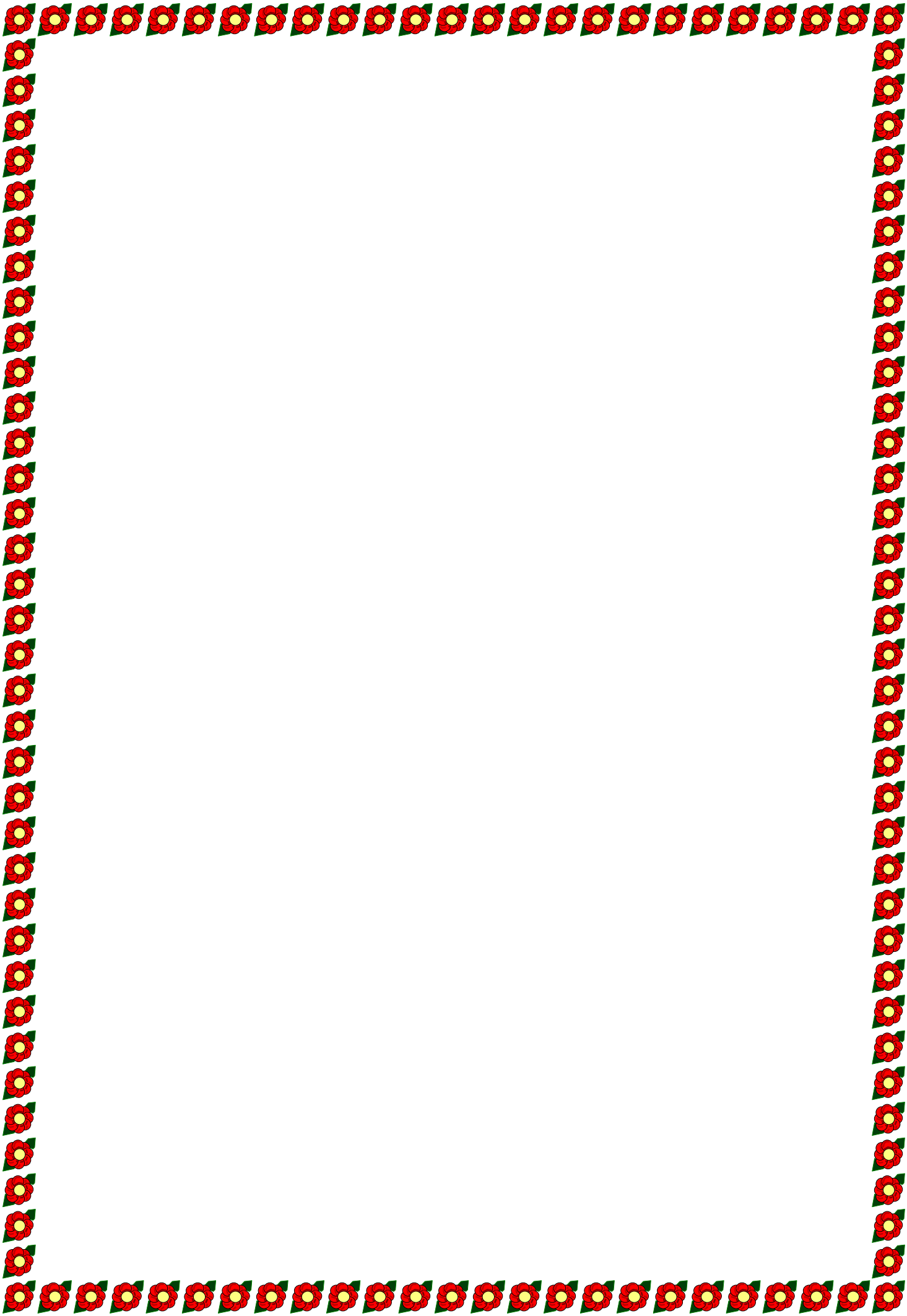

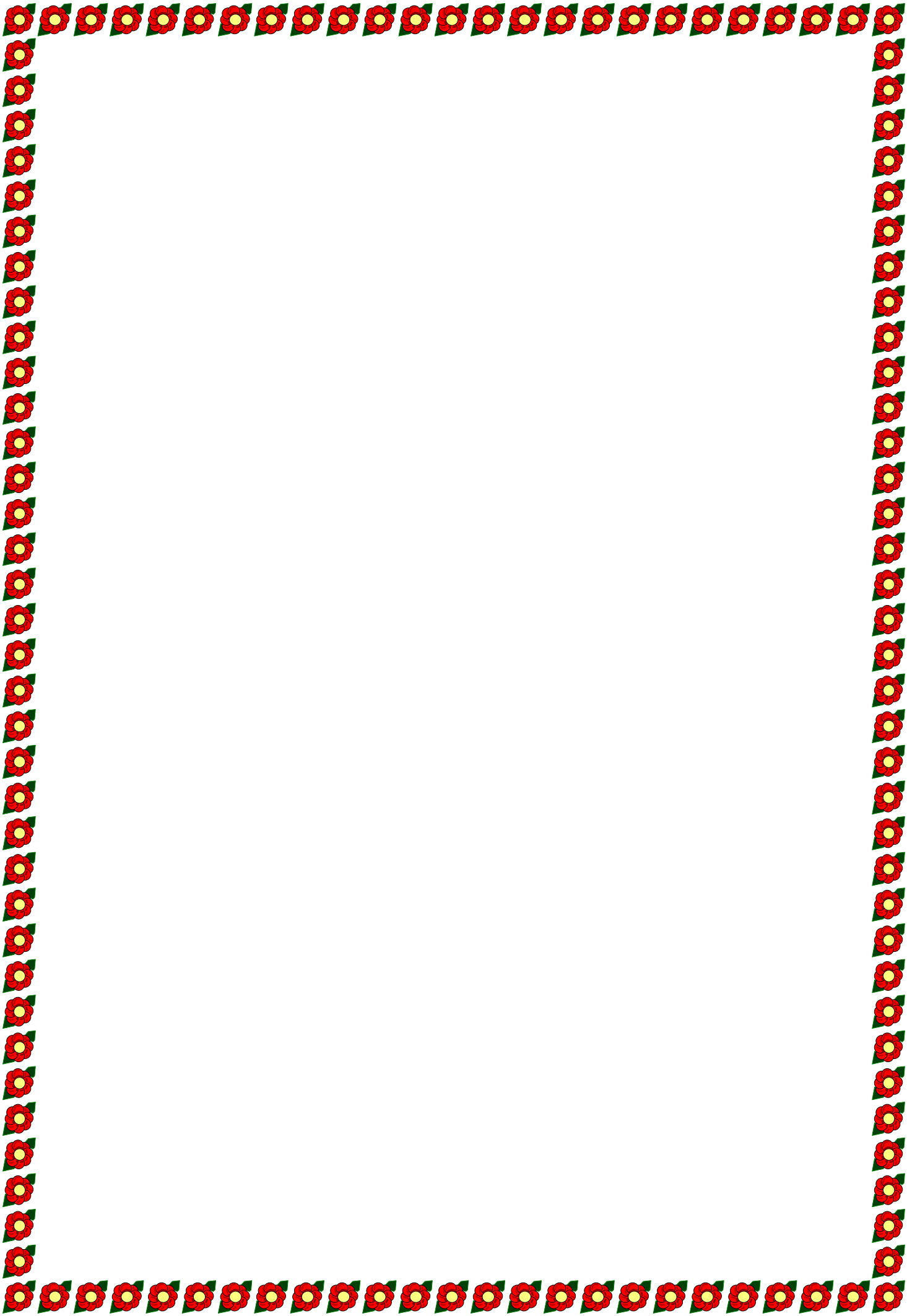

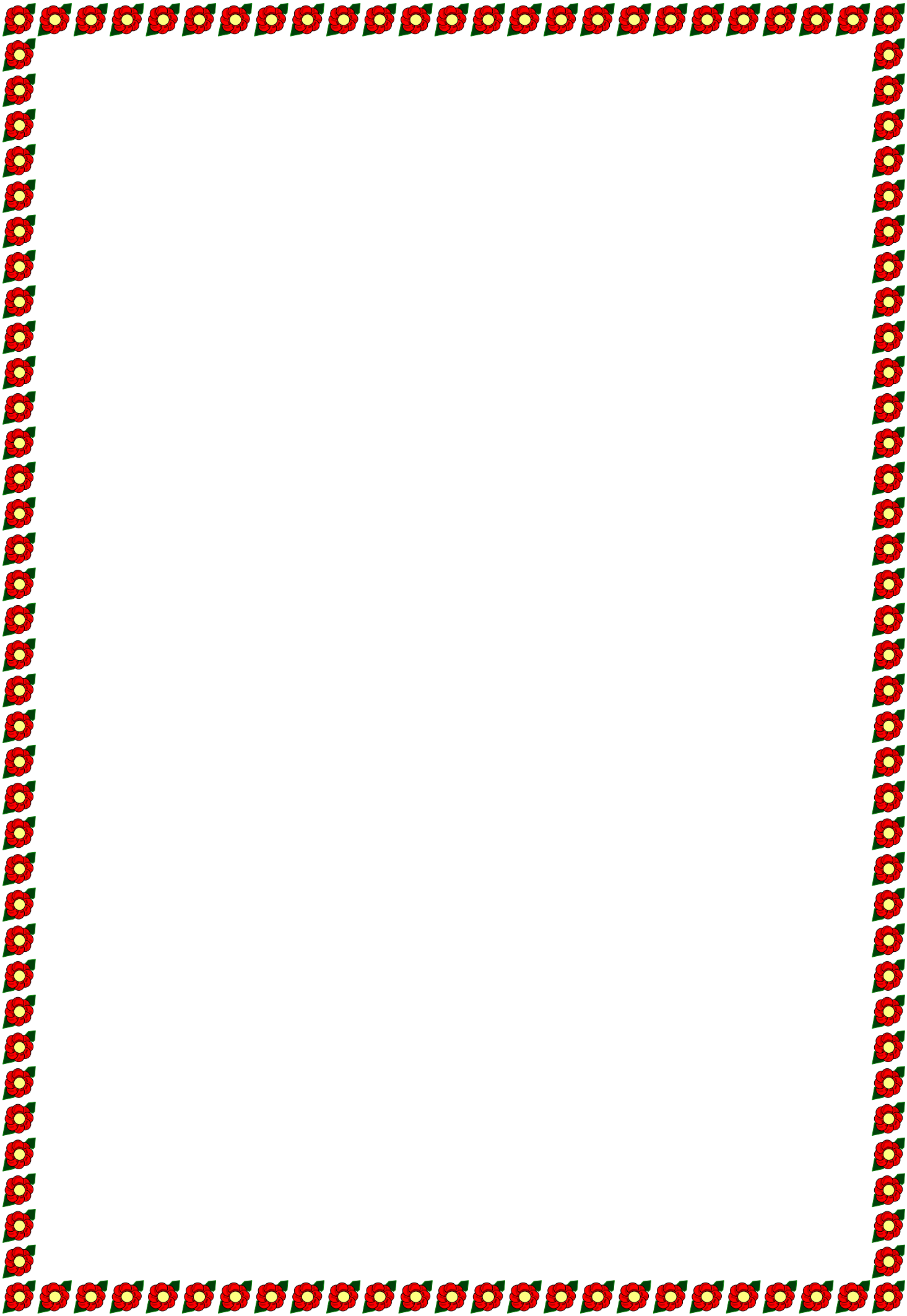

فهرس الموضوعات

كلمة شكر.....

إهداء.....

المقدمة.....أ- ب

مدخل نظري: منطلقات نظرية.....1_13

① الفصل الأول: الحياة السياسية والفكرية والأدبية في المغرب العربي.

1_الحياة السياسية.....14_19

2_الحياة الفكرية.....20_27

3_الحياة الأدبية.....28_46

② الفصل الثاني: روافد النقد الأدبي واتجاهاته في المغرب العربي.

أ_روافد النقد المغربي القديم

❀الرحلات.....47_52

❀الهجرة.....53_55

ب_اتجاهات النقد المغربي القديم

❀اتجاه أدبي.....56_58

❀اتجاه بلاغي نقدي.....59_60

❀اتجاه أخلاقي.....60_61

❀اتجاه ذوقي.....62_63

③الفصل الثالث:القضايا النقدية الكبرى في نظر نقاد المغرب العربي.

1_ قضية مفهوم الشعر.....64_69

2_ قضية اللفظ والمعنى.....69_74

3_ قضية الطبع والصنعة.....74_78

4_ قضية السرقات الشعرية.....79_86

④الفصل الرابع:إسهامات نقدية في المغرب العربي.

أ_ القزاز القيرواني: حياته و آثاره.....87_89

ب_ موضوع الكتاب.....90_92

ج_ غرض الكتاب.....93

د_ منهج الكتاب.....94

ه_ تأثر القزاز باللغويين والنحويين المشارقة.....94_98

و_ مواضع الضرورة عند القزاز القيرواني.....98_105

الخاتمة.....

قائمة المصادر والمراجع.....

فهرس الموضوعات.....

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله و صحبه أجمعين، أما بعد...

إن القارئ للنقد المغربي القديم يجده نقدا غنيا وثريا، لا زال يحتاج إلى الدراسة والبحث، والتحقيق ذلك لما يضمه من أعتمال نفيسة، وأعلام تحتاج إلى من يخصها بالدراسة والتحقيق لما أنتجوه وما تركوه لنا من تراث متنوع.

فالباحث في مكتبة البحوث الأكاديمية سيجد دراسات هامة، أو محاولات الكشف عن تصورات النقاد المغاربة النقدية لأهم المحاور والموضوعات الأدبية، لكن ما سيسجله قلة الدراسات والبحوث فتي مجال النقد.

وتسعى هذه الدراسة المتواضعة تحديدا إلى رصد آراء النقاد المغاربة في أهم القضايا النقدية، خاصة أن النقاد استطاعوا أن ينتجوا إنجازات على درجة كبيرة من الأهمية ساهمت في إثراء النقد العربي القديم.

وكان اختياري لهذا الموضوع استجابة لرغبة كانت تراودني منذ أن وفقت في إتمام دراستي،ذلك أني لاحظت أن النقد المغربي مازال يشكو من قلة الدراسات،فمعظم الدراسات التي اطّلعت عليها لا تخرج عن نتاجات النقد العربي في المشرق و أعلامه من أمثال: الجرجاني و ابن طباطبا و قدامة وغيرهم. فتنوعت الدراسات حولهم وكثرت الموضوعات المقدمة حول نقدهم، بينما لم يحظ النقد الأدبي في المغرب العربي و أعلامه إلا النصيب القليل؛ وإن وجدت الدراسات فإن أصحابها ينعتون النقاد المغاربة بالتبعية المشرقية.

كما أن هناك من يرى أنه لا وجود لما يسمى بالنقد الأدبي في المغرب الإسلامي،فأردت إجابته من خلال بحثي المتواضع أنه يوجد نقد في المغرب العربي ونقد أصيل بالمعنى العلمي للأصالة وهو أن الإنسان قد يبني على متا حققه أسلافه.

<u>إشكالية البحث:</u>

لقد كان الهدف من البحث تكوين نظرة واضحة حول الحركة النقدية القديمة في المغرب العربي، من خلال التساؤل حول ما يلي:

مـاهـي البدايات الأولى لظهور النقد الأدبي في المغرب العربي؟وكيف كانت الحركة النقدية فـي المـغرب الـعربـي؟ وما هـي الإضافـات التي حملتها آراء النقاد المغاربة حول القضايا الـنـقـديـة الـكـبـرى؟

ونـظـرا لـطـبـيـعـة الـدراسـة فـقـد جـعـلت هـذا الـبـحـث فـي مـدخـل وأربعة فصول وخاتمة.

فـبعد المـقـدمـة يـأتـي المدخل الذي حاولت فيه الكشف عن أوليات الدرس النقدي في بلاد المـغرب.

أمـا الـفـصـل الأول تـطـرقـت فيه إلى أهـم ما ميز المغرب العربي من حراك سياسي وفكري وأدبي، وقـد وجدت أن هذه المنطقة رغم ما شهدته من اضطرابات سياسية إلا أنـها شـهدت حركة فكرية علمية نـشـطة، وبالتالي يستـطيع القارئ أن يتمثل الجو الذي عاش فيه نقاد المـغرب الإسلأمـي.

أمـا الـفـصـل الـثـانـي فـتـطـرقـت فـيـه إلـى روافـد الـنـقـد المـغربي الـقـديـم واتـجـاهـاتـه.

ثم يأتي الفصل الثالث وتـطـرقـت فـيـه إلـى الـقـضـايـا النقدية الكبرى، وهي قضية مفهوم الشـعـر، وقـضـيـة الـلـفـظ والمـعـنـى، وقـضـيـة الـطـبـع والصـنـعة، وأخيرا السرقات الأدبية.

أمـا الـفـصـل الـرابع فهو بعنوان " اسهـامات نقـدية فـي المغرب العربي"خصصته لدراسة كـتـاب (مـا يـجـوز لـلـشاعر في الضرورة) باعتباره الكـتـاب الوحيد في فهارس المكتبات، والـذي يـتـرجـم لـنـا شخـصيـتـه النقـديـة.

وفـي الـخـاتـمـة لخـصـنـا الـنـتـائـج العـامة، الـتـي رأيتت أنني تـوصـلت إليها، وأوردت قائمة للمـصـادر والـمـراجـع الـتـي عتدت إليهـا فـي إنجـاز هتذه الـدراسـة المـتـواضـعـة.

ووفـق لمضـمـون البحـث، وما اقتضته الخطة التي سرت عليها، فقد اعتمدت على المنـهج التاريخي في عرض أهم الأحداث السياسية للمغرب العربي، كما أفدت من المنـهج الوصفي التحليلي في تتبع النقد في هذه المنطقة للتوصل إلى تحقيق هدف هذه الدراسة.

وخلال إنجـازي لـهذه الدراسة المتواضعة واجهتني بعض الصعوبات التي لا غنى عنـها في مـجـال البـحـث.

ومـا كان لـهـذه المـذكرة أن تستوي على صورتها لولا الرعاية التي أولاه الأستاذ المشرف الـدكـتـور: عـبـو عـبـد الـقـادر

هـذا جـهـدي فـإن وفـقـت فـمـن الله، وإن أخـطـأت فـمـن نـفـسـي.

إن بـلاد المغـرب العربـي فـي القديـم بعـد الفتـح الاسلامـي ، إنتقـلت إليهـا الحركـة الثقافيـة العربيـة كمـا كـانت سائـدة فـي المشـرق العربـي ؛ تستحـق أن يـوليهـا المهتمـون بـالدراسات النقديـة و البلاغيـة المقارنـة عنايتهـم. وهـي حركـة ذات أبعـاد لغـوية (نحويـة) و بلاغيـة،وقـد هيـأ لهـذه الحركـة علمـاء مخلصيـن ، الذيـن اهتمـوا بتقعيـد و ضبـط قـواعـد علـوم العـربية التـي تضمـن لهـا العصمـة مـن الخطـأ أو الضيـاع مـن أمثـال: أبـي عبـد الله محمـد بـن جعفـر التميمـي المعـروف بـالقزاز القيـرواني و أبـي اسحـاق إبـراهيم بـن علـي بـن تميـم الأنصـاري المعـروف بالحصـري. وكانت هذه النهضة الثقافية ذات أثر في نمو حركة النقـد الأدبـي.

***أوليات الدرس النقدي المغربي القديم:**

" لـم تكـن حركـة الشعـر قـد نضجت وحدهـا فـي المغـرب بـل قد ظهـر ونضـج إلـى جانبهـا –وهـذا مـن مستلزمـات النهضـات الأدبيـة- حركـة نقـد أدبـي قـوي، بـدأت أول أمرهـا نتفـا لا قواعـد لهـا فـي القـرن الثانـي ، ونضجـت فـي القـرن الثـالث وبـلغت أوج ازدهـارهـا في القـرن الرابـع ومنتصـف الخـامس"(1)، حيـث يشيـر رابـح بـونـار علـى أنـه فـي هـذه الحقبـة مـن الـزمن (أي القـرن الـرابع والخـامس) تـم " ابتكـار فنـون جديـدة .... كـالنقد الشعـري والأدبـي عنـد ابـن رشيـق المسيلـي القيروانـي وابـن شـرف القيروانـي صديقـه ، وعبـد الكريـم النهشلـي الـذي سبقهما وصنف كتاب(الممتع) والـذي يبيـن فيـه أسـاليب النقـد ووجـوهـه "(2)

وعليه فإن الحركة النقدية القديمة في بلاد المغرب العربي، بدأت بصفـة غـير ممنهجـة نتفـا، وأحكاما ذاتية تعتمـد علـى الإنطبـاعـات الآنيـة، ينبـه فيهـا النـاقد علـى الأخطـاء والتجـاوز فـي اللـفظ والمعنى ، ويوازن بين الشعراء فيفضل بعضهم على بعض ، ويتراوح بين اصدار الحكم على البيت أو البيتين من الشعـر إلـى الحكـم علـى مجمـل إنتـاج الشاعـر، يبـدي النـاقد استحسانـه أو إستهجانه دون تعليـل أو تفسيـر.

ولـعل نشـأة النقـد الفعليـة فـي هذه المنطقـة (بـلاد المغرب) تزامنت مع نهاية القـرن الخـامس الهجـري، والتـي كـانت علـى أيـدي عبـد الكريـم النهشلـي ومـن جـاء بعـده.

1-عبد الله شريط:تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، سنة1983، ص130
2-رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، ط2،سنة1981،ص286

وعليــه، فــإن النقــد المغربــي بدأ ناضجــا متبلورا في أفكـار وآراء مؤسس عليهـا، ذلك أن المغاربـــة وقفــوا طويــلا أمام كل ما ألـف فـي النقد ببلاد المشرق واطلعوا عليه، فكونـوا بذلك لأنفسهم ثقافـة وأسس نظريــة، مما سمح لهم بأن يقدموا لنا إسهامات ناضجة تشبعت مـن النقد المشرقي محاولين الإبداع وإضافـة الجديــد للحــركة النقديــة الأدبيــة بشكـل عـــام.

إن كانت نشأة النقـد المغربـــي الفعلية تزامنت مع القـرن الخامس، فإن بـمرور هـذه الفترة إلى القـــرن السادس امتـدادا إلـى القـرن السابـع الهجـــري، نجـد أن الحـراك النقـدي قـد قـلّ، وأصبـح الإهتمـــام بالمؤلفات الأدبيـة القائمـــة علـــى أساس جغرافـي التي لا تكـــاد تخـلو من بـــعض الـــرؤى والوقفـــات النقدية ، ويــذكر إحســان عبــاس في كتابه (تاريخ النقـد الأدبي عند العرب) أن هذه الفترة الزمنية ، يمكن التعبير عنها أنها فترة الخـــوف من الضياع ، نظـــرا للأوضـــاع السياسية التـــي عصفت بـــالوطن العربي مشرقـــه ومغربـــه.(1)

1-ينظر:إحسان عباس:تاريخ النقد الأدبي عند العرب(نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري)، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، سنة1997، ص501و502

وبما أننا نتحدث عن الحركة النقدية في بلاد المغرب، فإننا أردنا تتبع الآراء النقدية مــن خلال المؤلفات التي ظهرت في بلاد المغــرب، التي تحمل في طياتها بعض الدراسات النقدية الباحثة في فـن الشعر وأحوال الشعــراء فيــه ، والظواهــر التــي أحيــطت به،الباحثة فــي ماهيــة الشعــر والبلاغــة ، وهي دراسات يعمل فيها الناقــد فكره واجتهاداته ورصيده المعرفي، ليضع نظريات يخضع لها الإبداعات الشعرية.ومن أهم هــذه الــكتب:

كتاب(الممتع في علم الشعر وعمله) لعبد الكريم النهشلي ، يتناول فيه: " القديم والحديث، اللفظ والمعنى ، السرقــات ، الطبــع والصنعــة، نقد بعض فنون الشعر وأطرافه والنسيب ، رأي في البلاغة، فنون بلاغية كالتصديــر، والتقطيــع والإتســاع، الأوزان والقــوافــي "(1)،وقــد تضــمن هـذا الكتــاب إلــى جــانب الآراء النقديــة جانبــا مـن النصــوص التطبيقيــة، التــي دعـم بهـا صـاحب الكتــاب مـا ذهب إليــه مـن أحكـــام، منهـــا:

" قـــال حســـان:

أولاد جفنـــة حول قبـر أبيهـم قبـر ابن مـــارية الكريــم المفضـــل

يــعلق عبد الكريـــم النهشلـــي قائلا:وقولـــه ابن ماريـــة للشاعـر أن يسمـــي الملك ويدعوه باسم أمـه فــي الشعـر، وباسمه لغير كنية، وليس ذلك لغير الشعر بجائز إلا ضرورة على وجه الإحتقار، وهذا من فضل الشعـــر"(2)

إن هـذا الموقف النقدي هــو تعبيــر صريح عن فضل الشعــر وتميــزه عن غيــره من الخطابـــات.

إضافـــة إلى مـؤلف عبد الكريـم النهشلـــي نجد كتـــاب (ضرائـــر الشعــر أو مـــا يجوز للشاعـــــر فـــي الضـــرورة) للقـــزاز*، وهو كتـــاب نقـدي ألفه صاحبه لبيان الضرورات الشعرية أو الجوازات التي تسمح للشاعر فتخرجه بذلك عن قواعــد اللغــة العربيـــة النحويـــة والصرفيـــــة.

1-بشير خلدون: الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،سنة1981،ص56
2-المرجع نفسه،ص57
***هو أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي القيرواني وهو واحد من أعلام اللغة والأدب في بلاد المغرب،اشتهر بكتابه الجامع في اللغة الذي صنعه على حروف المعجم وجمع فيه سائر الحروف التي ذكر النحوي،كما اشتهر بكتابه ضرائر الشعروهو الكتاب الوحيد الذي ألفه القزاز في النقد.**

ومن صور النقد في هذا الكتاب:

" فالأكفاء: هو اختلاف إعراب الأبيات ، كما في قول النابغة الذبياني:

أمن آل ميـــة رائح ومغتدى عجلان ذا زاد وغيــر مزوّد

زعم البوارح أنّ رحلتنا غدا وبذلك خبّرنا الغراب الأسود

قال القزاز: وهذا من أقبح العيوب، ولا يجوز لمن كان مولديا هذا لأنه جاء في شعر العرب على الخلط وقلة المعرفة به"(1)

ولعل أبرز كتـــاب نقـدي تنظيـــري هو كتـــاب العمـدة لإبـن رشيـق المسيلي*، الذي وضع فيه أسس النقـد العربي والبلاغي، حيث يعد هذا الكتاب ثمرة إطلاع وبحث وإعادة قراءة لكل ما ألف في الشعر وفنونه وقضايـــاه، فحـــاول ابن رشيـــق أن يكون كتابه جامعا ل" أحسن ما قاله كل واحد منهم... ليكون العمدة في محاسـن الشعـر وآدابه إن شـــاء الله، وعولت في أكثره على قريحة نفسي ونتيجة خاطري "(2)، وقد ضم الكتاب مائـــة وسبعة أبـــواب، تنـــاول فيهـــا ابـن رشيـق عدّة قضايا أبرزها: فضل الشعر، في منافع الشعر ومضـــاره، القدمـــاء والمحدثـــون، المشاهيـــر من الشعراء، حد الشعر وبنيته، اللفـظ والمعنى ، السرقات ومشاكلها...؛ وقد ضمن ابن رشيق كتابه بعض المواقف النقدية التطبيقية التي تنـــوعت بين مناقشات لآراء سابقيـــه من النقاد والبلغاء ، ومن بين تلك المواقف النقدية لبعض المقطوعات الشعرية:

ما ذكره ابن رشيق في باب الإتساع*، ومن ذلك قول امـــــرئ القيس:

مكرّ مفرّ مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطّه السيل من علّ

فإنما أراد أن يصلح للكرّ والفرّ ويحسن مقبلا مدبرا، ثم قال "معا" أي جميع ذلك فيه، وشبّهه في سرعة وشدة جريه بجلمود صخر حطّه السيل من أعلى الجبل ، فإذا انحط من عال ، كان شديد السرعة، فكيف إذا أعانته قوة السيل من ورائه؟

1-بشير خلدون:الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي،ص100

***هو علي أبو الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني،ولد بالمسيلة وتأدب بها ثم ارتحل إلى القيروان سنة406هـ، أبوه مملوك رومي،قرأ الأدب بالمحمدية، وقال الشعر، وتاقت نفسه إلى التزيد منه وملاقاة أهل الأدب ، فرحل إلى القيروان واشتهر بها.**

2-بشير خلدون: الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي،ص16و17

***الإتساع: هو أن يقول الشاعر بيتا يتسع فيه التأويل ، فيأتي كل واحد بمعنى وإنما يقع لإحتمال اللفظ وقوته واتساع المعنى.**

وذهب قول عبد الكريم النهشلي إلى معنى قوله: " كجلمود صخر حطّه السيل من عل" إنما هو الصلابة، لأن الصخر عندهم كلما كان أظهر للشمس والريح كان أصلب"(1)

إن الملاحظ لهذه الوقفة النقدية يلاحظ قدرة ابن رشيــق في التحليل والمناقشة، بل نجده متسع المعارف ومحبا للمناقشة، فهو لم يكتف برأيه فقط بل نجده قد أورد رأي أستاذه عبد الكريم النهشلي، وهذا التوضيح والإقنـــاع.

ورابع كتاب نقدي لإبن شرف القيرواني نشـر باسم (رسائل الإنتقاد أو مسائل الانتقاد) ، وهو أول قالب نقــدي في صورة مقامة طويلة ، بطلها أبو الريّـــان الصلـت بن السكن بن سلامـــان، " فجاءت رسالته في قسميــن واضحيــن: أولهما المقامـــة نفسها التي تحدث فيها عن الشعـــراء، والثاني بيان سقطات عدد من الشعــراء، وبـــعض العيــوب في الشعــر ، وعنــي فـــي القســـم الأول بـإبراز أهـــم ما يتمـــيز بـــه كل شاعـــر ، في الشعـــر وفي غيـــره، علـــى نحـــو تعميمـــي يتضمـــن الحكـــم والخبـــر على السواء "(2) وقــد أطال الـوقوف عند أبـــي نـــواس فأبـــان أنـــه " ترك السيرة الأولى ونكب عن الطريقة المثلى وجعل الجــد هـــزلا والصعــب سهـــلا"(3) وعلــل ذلك ، أن أبـــا نـــواس ظهر وقد انحلت أسباب العربية وملت الفصاحـــة، فنـــزل بـــالشعر إلـــى مستـــوى الفهـم في عصره، فرغب الناس في شعره " وشغفوا بأسخفه وكلفوا بـــأضعفه"(4) وهو قادر على الشعـــر القـــوي، ولكنـــه عني بما ينفق في سوق الجماهيـــر يومئذ.

1-أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني:العمدة في صناعة الشعر ونقده،تح:النبوي عبد الواحد شعلان،ج2،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط1،سنة2000،ص734
2-إحسان عباس:تاريخ النقد الأدبي عند العرب(نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري)، ص468
3-المرجع نفسه،ص469
4-المرجع نفسه،ص469

وإضافة إلى هذه الكتب النقدية، التي تعبر من أوليات الدرس النقدي المغربي القديم، فإن التاريخ قد سجل لنا بعض الوقفـــات النقدية التي تحدث في بلاط الحكام والأمـــراء، ومثال ذلك ما كان في بلاط المعز تميم بن المعز الصنهـــاجي، تلك التي حكـــى عنها أبو الصلت ، حيث يروي أن حبيب المهدوي أخبره أن شاعر تميم وأحد ندمائه حميد بن سعيـــد الخزرجـــي ، قد أورد لنفسه أبيات مختصرة على وزن أبيات لتميم نفسه، عندما طلب هذا الأخير من جلسائه الأدباء إجازتها ، وكذلك فعل الحصيبـــي والكفيف فانتقد تميم الحصيبي ، ثم طلب من حميد انتقاد أبيات الكفيف التي يقول في أولها:

بثثت حبك إذ ضاق الفؤاد به فمن يلوم لسر فيك مبثوث

فقال حميـــد: إن كلامـــه مختل لأنه ذكـــر ضيق صدره بمحبوبـــــه، فمن كان صادق المحبة لا يضيق صدره ، كمـــا أخطـــأ فـــي قولـــه: " فمن يلـــوم لسر فيك مبثـــوث وإنما الصواب: فلا تلمني لسر فيك منثـــوث ، و المنثوث بمعنى المفـــرق وكيف يبث حبه بمعنـــى يفرقه ، وإنما أراد أن يقول نثثت حبك بالنون أي ذكرته بعدما كان مكتوما"(1)

إن هذا النموذج النقـــدي هو تبيان لما كان النقاد المغاربـــة يقدمونه من توجيهات آنية و أحكام نقدية وما هذا إلا دليل على اهتمام المغاربة بالأدب وفنونه وكذا النقد الأدب.

حيث توجد مجموعة من الكتب تتميز في أن الغرض من تأليفهـــا لم يكن النقد، بل التطرق إلى فنون أدبية شعرية كانت أونثريـــة ، يمكن أن نجد بعض الوقفات النقدية عند بعض النصوص التي أوردها المؤلفون؛ ومن بين الكتب الأدبية المغربية التي نجد فيها بعض صور النقد مايلي:

-كتاب زهر الآداب وثمر الألباب للحصـــري*، والذي يعد واحدا من " الكتب الأدبية العامة التي ظهرت في الفرن الرابع ، يشبه في طريقته الأمالي لأبـــي علي القالي، والبيان والتبيين للجاحظ ، فالحصري في كتابه... يرسل القول إرسالا ، ويتبع الملحة بالطرفة ، والقصيدة بالرسالة ، وينتقل من موضوع إلى موضوع يتعرف الناظر فيه ومتنقلا من شعره إلى نثره ومطبوعه إلى مصنوعـــه ، ومحاورته إلى مناظرته..."(2)،وقد ضمن كتابـــه بعض المـــواقف النقديـــة القليلـــــة.

1-إحسان عباس:تاريخ النقد الأدبي عند العرب(نقد من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري)، ص447
***هو أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري المعروف بالحصري، أخذ في تأليف الأخبار وصنعة الأشعار، كان شاعرا وناقدا.**
2-بشير خلدون: الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي،ص87

ومـن بيـن الـكـتـب الأدبية أيضا، نجد كـتـب الرحلات التي يهتم فيهـا الـرّحـال بـنـقـل مشاهداته خلال إنـتـقـاله،وتسجيل كل ما مرعليه من مواقف وأحداث،أشهرها : الرحلة المـغربية لمحـمد العبدري دون فـيهـا العبدري مـشـاهـداتـه وآرائـه ، وضمنها نصوصا نثرية وشعرية ، وتعد نموذجا لأدب الرحلات بعد رحلة ابن جـبـيـر.

كما أسهمت كتب الرحلات في إبراز الوجه الثقافي والحضاري لبلاد المغرب، من خـلال تقـديمها للكثير من الصـور الوصـفية والمعلومـات ، التي تحـدثـنـا عـن الـمجـالـس الـعلمية الـتي تـقـام هنـا وهـنـاك ، وكـذا الـمـدارس والـجـوامـع والـمكـتـبـات ، فـبالـتـالي نجد المؤلفات الرحلية قد جمعت لنا حصيلة من أسماء الكثير مـن الـمـؤلـفـات ، وكـذا الإنـتـاج الـفـكـري والـعلـمـي والأدبـي.

ومن أهم المراكز التي جاء ذكرها في المؤلفات الرحلية مايلي:

<u>تـونـس:</u> لـقـد عـرفـت ازدهـارا كـبـيـرا فـي ظـل الـدولـة الـحـفـصية، إذ شـيّـدت فـيها الجـوامـع ودور الـعلـم وبنيت فيهـا بـيوت ومنـازل لـلـعلماء، فـاشتهرت بجـامع الـزيـتـونـة الذي قـال عنه العبدري بأنها" من أحسن الجوامع وأتـقـنها وأكثرها إشراقا ودائره مـسـقـف ووسطه فضاء، قد نصبت فيه أعـمدة مـن خشب على قدر ارتفاع الجـدر وشـدت إلـيـها حـبال مـتـيـنـة وحلق من حديد مثبتة فيها وفي السقوف شدا محكما ، فإذا كان يوم الجمعة نشرت عليها شقق الكتان المطبقة الموصولة حتى تظل جميع الفضاء"(1)

كما عرفت ازدهارا علميا وثقافيا ، فما " من فنون العلم إلا وجدت بتونس به قائما ، ولا موردا من موارد الـمعـارف إلا رأيـت بـهـا حوله واردا وحائـما ، وبـهـا من أهل الرواية والدراية عدد وافـر يجلو الـفـخـار بـهـم عن مـحـيـي سـافـر ويـنـيـر عـلمهم"(2)، ويكفي تونس فخرا أنها كانت تأوي ابن زيتون*، وحازم القرطاجني وأبا الفضل التيجاني، حيث أن هؤلاء يعدون من رواد النقد والأدب والفقه والحديث.

1-بشيرخلدون: الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي،ص 87

2-المرجع نفسه،ص88

***هو أبو القاسم بن أبي بكر اليمني المالكي الشهير بابن زيتون،تولى القضاء بتونس لمرتين، رحل إلى المشرق رحلتين ، ويعد أول من أظهر كتب فخر الدين بن الخطيب في الأصول بتونس،ولد بتونس سنة621هـ وتوفي بها سنة 691هـ.**

بجـايـة: تعد بجاية مـن النـاحـية السـياسية أحد المراكز الأساسية للدولـة الحفصية،وقد أسهم حكامها في إنعاش الحركة الثقافية والفكـرية فيها،وذلك من خلال التحفيز ، والتشجيع على بنـاء المساجد، التي تعد مركز إشعـاع علمـي.

وقد أصبحت بجاية قبلة لكثير من العلماء والفقهاء ، خاصة أولئك الوافدين عليها من الأندلس، مما يدفعنا إلـى الـقول أن بجـاية تـميـزت بحـركة ثـقافية نشيطة ، لكونـها موطنا لأعلام كثيرين نبغوا فيـها ، ولعل عنوان الـدرايـة لـلغبـريني خـير دلـيـل على ذلك.

ونجد العبدري في رحلته المغربية يقدم لنا وصفا، يبرز فيه بعض ملامح الحركة الثقافية بقوله:" إن مدينة بجاية مبدأ الاتفاق والنهاية، وهي مدينة كبيرة حصينة منيعة، شهيرة، برية ، بحرية،سنية سرية،وثيقة البنيان، عجيبة الاتقان، رفيعة المباني،...، موضوعة أسفل جبل وعر،مقطوعة بنهر وبحر،...، فلا مطمع فيها لمحارب،ولا متسع فيها لطاعن وضارب،ولها جامع عجيب،منفرد في حسنه غريب،من الجوامع المشهورة، ...، فهو غاية في الفرجة والأنس ينشرح الصدر لرؤيته، وهذا البلد قواعد الإسلام ، ومحلة من العلماء الأعلام"(1)

طرابلس: وتعد من المدن والقواعد المهمة، خاصة في النشاط البحري،وقد جاء في وصفها ما قدمه لنا عبد الله التجاني في رحلته المعنونة ب(رحلة التجاني) ومن وصفه أنها إذا أشرفت عليها يكاد بياضها مع شعاع الشمس يعشى الأبصار فعرفت صدق تسميتهم لها بالمدينة البيضاء، وكان افتتاح طرابلس في القديم على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه، وذلك سنة اثنين وعشرين(2).ونجد في رحلة عبد الله التجاني وصفا لمعالم الحركة الثقافية والعلمية ، فيذكر أن فيها" محارس قديمة ومساجد كثيرة مشهورة بالفضل مزودة للبركة ، منها مسجد الشّعاب الذي ينسب إلى محمد عبد الله الشعاب أحد صلحاء وفضلاء طرابلس ، ومسجد خطّاب ومساجد أخرى"(3)

1-بشير خلدون:الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي،ص90
2-ينظر:المرجع نفسه،ص92
3-المرجع نفسه،ص93

تلمسان: وهي عاصمة الزيانيين " مدينة كبيرة سهلية جبلية جميلة المنظر مقسومة بإثنين بينهما سور ولها جامع عجيب مليح ومتسع،وأهلها لا بأس بأخلاقهم وبظاهرها يسند السند موضع يعرف بالعبّاد هو مدفن الصالحين أهل الخير"(1)

ويمكن القول أن المكانة السياسية التي احتلتها تلمسان كونها عاصمة للدولة الزيانية، جعلتها تهتم بالعلم وتشجع العلماء؛ كونها كانت في تنافس حاد بينها وبين الدولتين المرينية والحفصية.

فنجد أمراء بني زيان يهتمون بالعلماء والشعراء ويبالغون في إكرامهم، فنشأ فيها العلماء ، ونزل بها الفقهاء والأدباء ، وساهم أمراؤها ببناء المدارس والجوامع ، فنجد السلطان يغمراسن يرغب رجال العلم في القدوم إلى تلمسان،" والذي تمكن من إستقطاب أبي بكر محمد بن عبد الله بن خطّاب المرسي الأندلسي(ت686)إلى بلاطه ، والذي يقال عنه المنتصر أبا عبد الله بن أبي زكريا الحفصي طلبه للكتابة لكن اعتذر"(2)

وعليه يمكن القول أن تلمسان كانت حاضرة ثقافية قوية، أسهمت في تفعيل الحركة الثقافية الإسلامية ، من خلال ما تقدمه من تشجيعات واحتفاء دائم لأصحاب العلم والأدب.

القيروان: وهي من المراكز العلمية والأدبية في المغرب الإسلامي، وكانت تعد كعبة العلم في هذه المنطقة، حيث عرفت ازدهارا كبيرا في شتى المجالات الثقافية، وذلك ابتداء من أواخر القرن الثاني الهجري إلى منتصف القرن الخامس.

وتعد مرحلة الحكم الصنهاجي فترة العصر الذهبي في العلم والأدب، وزاد في بريقها العلمي حكم المعز بن باديس ، الذي شجع على العلم والإقبال على الأدب، فأجزل العطاء لرجال الفكر والعلم والأدب،ووضعهم في المكانة التي يستحقونها، فكان بمثابة الطعم الذي جذب بواسطته البلاط الصنهاجي رجال الفكر والعلم ويتباهون بالانتساب إلى هذه البلاد التي تقدر العلم والأدب.(3)

1-عبد العزيز فيلالي:تلمسان في العهد الزياني،ج2،موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر،سنة2002،ص321
2-المرجع نفسه،ص321و322
3-ينظر:بشير خلدون:الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي،ص21

فـاس: لقد عـرفت هـذه المدينـة المغربية ازدهارا فكريا وعـلميا،عـرف أوجه وقمة نشاطه أثناء اتخاذ فـاس عـاصـمة لـلمـرينـيـين ، فـأصبحت بـذلـك مركزا مهما لكثير من المجالات السياسية والاقتصادية،والعلمية.

كـمـا أن أمراء الدولة المرينية قـد أولوا لها اهـتماما بـالغا فـأنشأوا المدارس والمساجد،واستقـطـبوا العلمـاء والأدباء،فنجد أن " السلطان عـثمان أبا سعيد والد الحسن أنشأ بفاس مدرستي العطارين ، والمدينـة البيضاء الملحقة بفـاس،وأن الحسن ابنه أنشأ مدرسة الصهـريج في الشطر الأندلسي، ومدرسة داخل جامع القـرويـيـن فـي الشـطـر المـقـابل وتعـرف بمدرسة المصباح...كـمـا أنشأ في كل بلد من بلدان المغرب الأقـصـى وما تـبعـه من بلدان المغرب الأوسـط مدرسة...ففي فاس وحدها إحدى عشرة مدرسة ، وقد تحوي المدرسة مائة غرفة أو أكـثـر ، ولجـمـيع الأساتـذة رواتـب مـمتازة"(1)

-نستـطـيع أن نـقـــدم بعضـــا مـن نـمـاذج كـبـار الـنقـاد ، وأهـم الـقـضـايـا الـتـي أدرجـوهـا، فـهـذا عـبـد الكريم النـهـشـلـــي الـذي ولـــد بالـمسيلـة وقـضـى بـهـا أزهـى أيـام شبابه ، ثم رحل إلى القيروان للمزيد من الدراســـة، يـــرى هـذا الأخـيـر أن الـكـلام عـن الشعر ودواعـيـه مـهـم جدا، " فالشعر عـنده ليس نظما فقط أو مجرد ألفـــاظ ، بل هـو الإحـسـاس في حـد ذاتـه، فهو إن كان الشعر يقوله فذلك لأنه نـابع من أعماقه وهو أصـــدق تعبير عن التجربة ، ولـكـل دواعـيه"(2)،ويـورد ابن رشـيـق في العـمدة مـا جـاء عـن أسـتـاذه عـبـد الـكـريـــم النـهـشـلـــي، يقـــول: " وحدثني بعض أصحـابـنا مـن أهـل المـهـدية وقـد مررنا بموضع بها،يعرف بالكديـــة هو أشرفهـــــا أرضا وهـواء،قـــال جـئـت هـذا الموضـــع مرة فإذا عبد الكريـم على سطح برج هنالك،قد كشف الدنيا فقلت:أبا محمد،ما تصـنـع؟ قـال:ألـقـح خـاطـــــري وأجلو ناظري، فـقـلـت:هل نـتـج لـك شـيء؟ قـال: ما تـقـر به عـينك إن شاء الله تعـالـى،وأنـشـدنـي شعـــرا يـدخـل مسام القلـــــوب رقة،قلت هذا اختبـــار منك اخترعتـــه،قـــال: بـــل بـــرأي الأصمعـــي"(3)

لقـد عـلم ابن رشيـــق المـسيـلـــي ، بـما يـحـس به أسـتـاذه ويعتقـده،فهو الذي يرى أن الشاعر يحس ويتفاعل بـكـل شـيء يـحـيـط بـه، وأن لكل شاعر طريقـته الخاصة وتجربته التي تجعله يفيض نفسا بالعبارات الجميلـــــة.

1-عبد العزيز شهبي:تاريخ المغرب الإسلامي،مؤسسة كنوز الحكمة،الجزائر،سنة2013،ص104
2-صفية طبني:النقد الأدبي الجزائري القديم (نظرة علمية في المنهج والمحتوى)،حوليات الآداب واللغات،جامعة المسيلة،ماي 2006،ص17
3-أبو الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني:العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،تح:محمد محي الدين عبد الحميد،ج1،عاصمة الثقافة العربية،الجزائر،سنة2007،ص206و207

ومـــن القضايـــا التي أثارهـــا هذا الناقد،قضية نجدها في النقد المشرقي والمغربي،وهي الموازنة أو المفاضلة بـين الشعراء، وهـي من الإشكالات النقدية التي اهتم بها النقاد منذ ظهور النقد،فنجد الآمـدي "قد وازن بين الطـائـيـين من وجهـتين: وجهة فنية استنبط الخصائص التي في الشعر،ووجهة المفاضلـــة وهي التحيز لشاعر علـى غيره،وكـذا ابـن سلام الجمحي الـذي يصـف امرؤ القـيس بأشعر الشعراء".(1)

لقد وازن عبد الكريـــم النهشلـــي بـين الكـثير مـن الـشعراء ، وحاول المـفـاضـلة بـيـنـهـم،وذلـك فـي كـتـابه (الممتع)، " وقد ذكر ذلك عن الشعراء عرضا في كتابه فهو لم يفرد لها فصلا ، فقـــد وازن بين عمر بن الأهتم وعـبـدة بن الطيب والمخبل الفريعي"(2) كما وازن بين الفرزدق وجريـر، و " الفرزدق عنده أفضل من جرير في فـن الـهـجاء خـاصة،ومن كـل الشعـــراء الذين ظهـــروا في زمانه بما في ذلك جرير في المقـطعـــــات"(3)

وقـــد اهـتـم النقـاد المـغـاربـــة بـقـضـية الـثـابـت الـجـديـد أو القـدمـــاء والمحدثـين،ودرسـوهـا فـي مـؤلـفـاتـهـــم النقـديـــة،ونـذكـر من النقاد المغاربة، أبا اسحاق الحصري ومحمد بن شرف القيروانـــي،وابن رشيـــق القيروانـــي.

درس ابـن شـرف القـيـروانـي قـضـيـة القديم والحديث،في رسالته(رسائـل الإنتقاد) يقول: " يحفظ من شيئين ،أحدهـما : أن يحـملك إجلالك القديم المذكور على العـجلة باستحسان ما تسمع لـه،والثانـــي: أن يحملك إصغارك المعـاصـر الـمشـهـور عـلى التهـاون بما أنشدت له ،فغن ذلك جور في الأحكام ، وظلم من الحكـــام حتى تمحص قـوليهـما فـحـيـنـئـذ تـحـكـم لـهـما ، أو عـليهـم".(4)

1-صفية طبني:النقد الأدبي الجزائري القديم،ص18
2-صفية طبني:النقد الأدبي الجزائري القديم،ص19
3-بشير خلدون:الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي،ص78
4-المرجع نفسه،ص186

يشير ابن شرف إلى مسألة الخلاف بين القدماء والمحدثين ، ويدعوا إلى جعل الجودة والإحسان مقياسا للنقد،سعيا وراء الإنصاف في الحكم على الفريقين، وقد" أخذ رأيه عن ابن قتيبة الذي وقف من هذه المسألة بصراحة، إذ قال: (ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخر منهم بعين الإحتقار لتأخره،بل نظرت بعين العدل إلى الفريقين وأعطيت كل حظه، ووفرت عليه حقه ، فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لنقدم قائله، ويضعه في متخيره ، ويرذل الشعر الرصين، ولا عيب له عنده إلا أنه في زمانه، أو أنه رأى قائله"(1)وقد تميز ابن شرف عن هذا الموقف بقوله:

" قل لمن لا يرى المعاصر شيئا ويرى للأوائل التقديما

إن ذاك القديم كان جديـــدا وسيغلوا هذا الجيد قديمـــا"(2)

وتعرض ابن رشيق لدراسة قضية القديم والحديث،وخصهما بباب مستقل في كتابـــــه (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) إستهله بقوله:" كل قديم من الشعر فهو محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله"(3)،ثم ينتقل ابن رشيق إلى عرض آراء الذين كانوا يتعصبون للقديم وينتصرون له، أمثال: أبي عمرو بن العلاء،وابن الأعرابي وغيرهم، ثم تعرض ابن رشيق إلى فئة أخرى وقفت موقفا معتدلا من قضية القديم والحديث ، ويمثل هذه الطائفة : ابن قتيبة، ويقول ابن رشيـــق: " فأما ابن قتيبة، فقال: لم يقصر الله الشعـــر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر ، وجعل قديم حديثا في عصره"(4)

1-بشير خلدون:الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي،ص187
2-المرجع نفسه،ص188
3-أبو الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ج1،ص197
4-المصدر نفسه،ص198

ثم ينتقل ابـــن رشيـــق بعد هـــذه المقدمـــة إلى الحديث عن وجهة نظره في قضية القديم والحديث، فيقول:" وإنما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين: ابتداء هذا بناء فأحكمه وأتقنه، ثم أتى الآخر فنقشه، وزينه: فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن، والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خشن"(1)

يشير ابن رشيق إلى قضيـــة القديـــم والحديث،فشبـــه الشـــاعر الماهـــر الذي يبني المنازل الفخمة ، ويشيد القصـــور الشامخة ، ويتقن بناؤهـــا بإحكام ، كما يشبه الشاعر المحدث بالنقاش ، الـذي يأتي بعد البناء، فيقوم ينقش هذه الأبنية وتزيينها بالنقوش الجميلة ووضع اللمسات الأخيرة لها.(2)

وهكذا توسط ابن رشيـــق في قضية القديم والحديث، فلم يتعصب للقديم لقدمـــه، ولم ينتصر للحديث لحداثته، وإنما سوى بينـــهما ، ورأى أن العبرة إنما تكون للأجود منـهما.

1-أبو الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ج1،ص199
2-ينظر: بشير خلدون:الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي،ص190

1- الحياة السياسية

يراد بلفظ المغرب العربي البلاد الإسلامية الواقعة من حدود برقة شرقا حتى ساحل المحيط الأطلسي غربا، وهي تسمية أطلقها الفاتحون المسلمون على المغرب في القرن الأول الهجري.

وقد قسم المسلمون في مصر والشام المغرب إلى ثلاثة أقسام: المغرب الأدنى، المغرب الأوسط، المغرب الأقصى

المغرب الأدنى: يبتدئ من غرب الإسكندرية شرقا إلى مدينة بجاية غربا، و يشتمل على برقة وطرابلس

المغرب الأوسط: من مدينة بجاية شرقا إلى وادي ملوية غربا، ويشتمل على وسط الجزائر وغربه، وعلى جزء من شرق القطر المغربي.

المغرب الأقصى: من وادي ملوية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ويشتمل على بقية المغرب من وادي ملوية إلى المحيط الأطلسي(1)

شرع المسلمون في فتح بلاد المغرب منذ سنة 20 هـ-641 م في ولاية عمرو بن العاص على مصر، ففتح برقة وطرابلس، وفي سنة 27 هـ-647 م أذن الخليفة عثمان بن عفان لوليه على مصر عبد الله بن أبي سرج 27هـ-647 م بأن يسير إلى فتح إفريقيا (وهي الاسم الغالب على المغرب في جزيرة العرب أيام الخلفاء الراشدين) غير أن الفتن التي حدثت في المشرق أيام عثمان وعلي ومحاولات الروم في استرداد ما كانوا قد خسروه في المغرب ؛ جعلت العرب يتراجعون عن إفريقيا. ولم يثبت الحكم العربي في المغرب إلا بعد فتح عقبة بن نافع سنة 46هـ -666م وفي سنة 50 هـ-670 م بني قيروانا (معسكرا) " و خط فيه مسجدا عين اتجاهه نحو القبلة، أي نحو مكة، فأصبح هذا المعسكر مع الأيام مركزا مهما لتجمع الجيوش والسكنى... وسرعان ما أصبح هذا القيروان مدينة عظيمة مشهورة ومركزا من مراكز العلم والحضارة في العالم الإسلامي".(2)

وتابع عقبة بن نافع الفتح في المغرب حتى وصل إلى المحيط الأطلسي 62هـ-682م ، غير أن ولاية عقبة بن نافع لم تطل أكثر من خمسة أعوام، إذ عزله (معاوية) فانتهز الروم والافرنجة الفرصة وهاجموه عند (تهوذة) سنة 63هـ-683م في بلاد الزاب، جنوب جبال الأوراس قريبا من بسكرة في المغرب الأقصى فاستشهد ومعه عدد كبير من المسلمين واستكمل الفتح بمجيء(زهير بن قيس البلوى) 69هـ-688م فـ (حسان بن النعمان) 77هـ-696م ثم (موسى بن نصير) 86هـ-750م هذا الأخير انتهى في عهده الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ليبدأ عهد جديد، وهو عهد الولاة من سنة 96هـ-715م إلى سنة 184هـ-800م وهي الفترة التي كان فيها المغرب يتبع الخلافة في المشرق.(3) ونتيجة للسياسة القاسية لبعض الولاة، عرف المغرب الإسلامي قيام عدة ثورات بربرية، أهمها ثورة ميسرة وخالد بن حميد الزناتي 122هـ-793م و ثورات اخرى كان من بين نتائجها بروز إمارات مغربية و دول متعددة، أولها الإمارة الرستمية التي أسست

1-ينظر: محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير،ج1،عالم المعرفة،الجزائر،ط1،سنة2013،ص44

2-عمر فروخ:تاريخ الأدب العربي ،ج4،دار العلم الملايين،بيروت،ط4،سنة1997،ص36

3-ينظر:عبد العزيز الشهبي:تاريخ المغرب الإسلامي،مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع،الجزائر،ط1،سنة2013،26

بالمغرب الأوسـط سنة 144هـ-761م بزعامة (عبد الرحمن رستم الاباضـي) الـذي اتخذ مدينـة (تيهـرت) عاصمة لـه. أمـا الإمـارة الثانيـة فكانت الإمـارة الادريسيـة التـي أسست بالمغـرب الأقصـى سنـة 172هـ - 788م وكـان أول أميـر فيهـا(إدريـس عبد الله العلـوي) . وكـانت الإمـارة الأقـوى و الأقصـر أجـلا الإمـارة الأغلبية التي أسست بالمغـرب الأدنـى سنة 184هـ - 800م علـى يد (إبـراهيم بن الأغلب) الذي كان واليا علـى (طينـة) شـرق (الخضنـة) ثم تولـى القيـروان . وهـي بذلك أكثر اتسـاعا حيث " سيطر الأغالبة على كامل بلاد افريقية ، وامتد حكمهم في الجنوب الشرقي الى طرابلس وفي الجنوب الغربي إلى الزاب ، وحكموا في الشمـال الغربـي بونـة ، وبـلاد كتامـة"(1)

الدولـة الفـاطميـة: (296هـ - 361هـ) (909م - 972م)

قـامت الدولـة الفاطميـة فـي بلاد المغـرب ، علـى يد عبيـد اللـه المهـدي الشيعـي (من بـلاد الشـام) وداعـيتـه الأكبـر أبو عبـد اللـه الصنعاني الشيعـي بـالمغـرب الذي يـرجع إليـه الفضـل فـي تهيئـة الظـروف لإقـامة الدولـة الفاطميـة.وفـي البدايـة مكـث فـي الأوراس فـي ضيافـة قبيلـة كتـامة لمـدة 20سنـة،ثـم استقـدم عبيـد الله مـن مصر إلـى طـرابلس ثـم إلى قسنطينـة.وفـي مدينـة رقـادة بـالجزائـر ، بـايع السكـان عبيداللـه المهدي سنة 296هـ ولـقبوه بأمير المؤمنين فزاحم بذلك الخليفة العبـاسي الذي كـان يعتبر نفسـه زعيم الخلافة الإسلاميـة.

والفـاطميون * فـي الجزائـر حاولوا أن يحكموا البلاد عن طريق تـقسيمهـا إلى أربع ولايات هـي:أ/ ولايـة مسيلـة: تشـتمـل على زنـاتـة ، الحضـنـة ، سطيـف.ب/ولاية بـاغـة: تشـتمل على نواحي عـنـابـة ، قالمـة ، جيـجـل. ج/ولاية أشيـر: الـمـوجـودة قـرب الـبرواقـيـة ، وتشتمل على مـواطـن صـنـهـاجـة ومـا جـاوزهـا مـن زواوة و زنـاتـة.د/ ولايـة تيـهـرت:تـشـتـمـل على مـواطـن مغـراوة مـابـيـن مـلـيـانـةومازونة .وفي الـحـقـيـقـة أن قـادة الدولـة الفـاطميـة لم يكن هدفهم البقاء في المغرب العربي وإنما كان هدفهم الحقيقي هوالتمهيد لإقامة دولة في المشرق العربي والقضاء على الخلافة العباسية . ولذلك بعـث الفـاطـمـيـون منـذ البداية بالدعاة إلى مصر وذلك بقصد تمهيد الطريق لإحتلالها ونقل الخلافة إليها،وخـاصـة أن مـصـرتـحـتـل مـوقـعـا إستراتيجيا ، ولما توفي كافور الأخشيدي وتـأزمت الأوضاع الإقتصادية بمصر، أمر المعز الدين الله القائد العسكري جوهر بن عبد الله الصقلي أن يقوم بغزو المشرق بداية مـن مـصـر.وهـكـذا خـرج مـن مـديـنـة رقادة بالجزائر . وفي سنة 969م تمكن جوهر الصقلي من احتلال مصر، وقرر بناء مدينة القاهرة كعاصمة للدولة الفاطمية.(2)

1-عبد العزيز شهبي:تاريخ المغرب الإسلامي،ص43

***الفاطميون: لقبوا أنفسهم بالفاطميين تبركا بفاطمة الزهراء التي تنتمي إلى بيت النبوة ، وبذلك يظهرون تفوقهم على العباسيين الذين يعتبرون أنفسهم أبناء العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم.**

2-ينظر:عمار بوحوش:التاريخ السياسي للجزائر، دار البصائر، الجزائر، ط3، سنة2008، ص35و36

الدولـــة الحماديـــة فـــي المغـــرب الأوســـط : (405هـ - 547هـ) (1014م – 1153م)

أنـشـــأها (محمـــد بن بلكيـــن بن الزيـــري الصنهاجـــي) وهـــي مـن أبـــرز الدويـــلات التـــي ظـهـرت فـي الـمـغـرب الإسـلامـي حـكمـت المغـرب فـي العصـر الـوسيط ، وتعتبـر فتـرة قيامهـا علـى الصعيـد المحلـي بدايـة الانفصـال عن الدولـة الزيريـة .سعـى مؤسسهـا لتوطـيد أركـان دولتـه الـفتيـة و إعلان شأنهـا ، فقـام بتأسيس قلعـة لتكون بمثابـة عـاصمة لـه ، فانتقـل سنـة 387هـ فـي عـهـد (بـاديس بـن الـمنصـور) و اتخـذ (أشيـر) عاصمـة ، ولكنـه تبـادر إلـى ذهـنـه أن يـؤسـس عاصمـة جديـدة تباهـي القيروان و المهدية وعلى هذا بذل(حمـاد بـن بلكيـن) جهـودا عـظيـمـة لتـأسـيـس دولـة كـبـرى بالمـغـرب الأوسـط (الجزائـر حاليـا) ، و اختـط مدينـة القـلـعـة سنـة 398هـ ، فـاختـارلهـا موقعـا استـراتيجيـا هـامـا يقـع بجـبل (كتـامـة) بالقـرب مـن مـدينـة الـمـسـيـلـة.(1)

الـدولـة المـرابـطـيـة : (488هـ - 541هـ) (1056م – 1147م)

تـأسست الدولـة المرابطيـة علـى يـد أبنـاء صنهـاجة اللثاميـة* الذيـن كـانوا يقطنـون بالصـحـراء بـرفع السـلاح ضـد كـل مسلـم لا يمتثـل لـدينـه الإسلامـي. وفـي الـوقـت الـذي ضـعـفـت فـيـه الدويـلات الإسلاميـة بـالأندلس ودولـة زنـاتة بـالمغرب الأقصـى،قـررت هـذه الدولـة الإسـلاميـة فـي الأندلـس والمغـرب أن تـطـلـب مسـاعدة المـرابطين فـي صـد غـزوات المسيحييـن بالأندلـس وحمايـة المسلميـن فـي شمـال إفـريقيا مـن الأخطـار الأجنبيـة ، وحكـومة المـرابـطـيـن مـعـروفة فـي التـاريخ بـأنها متقيـدة بـالكتاب والسنـة وأمـراؤها يعتمـدون فـي كـل صـغـيرة وكـبيـرة عـلـى فـتـاوي شيـوخ رجـال الديـن. والمرابطـون مشهـورون بتمسكهـم بـالمذهب المـالكي، وتتمثـل سياستهـم فـي مسـالـمـة الـدول الإسلامية ومحاربة المسيحييـن. واتخـذوا مـدينـة مـراكـش عـاصـمـة لهـم.(2)

1-محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، سنة2010، ص92
*** عرف المرابطون بالملثمين ، لأنهم يستعملون اللثام لشدة الحر والبرد ووقاية لوجوههم من غبار الصحراء.**
2-ينظر: عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر، ص 38

الدولـــة الموحديـــة : (541ه-667ه) (1147م-1269م)

ترتبط دولة الموحدين بأول داعية لها المهدي بن تومرت الذي كان يهمه بالدرجة الأولى محاربة الفساد وإقامة دولة إسلامية قوية بالمغرب العربي، وقد قام بجولات في المشرق والمغرب وقام بإلقاء محاضرات أثارت غيظ المرابطين في المغرب. وفي عام 515هـ أرسلت الدولة المرابطية قوة من جيشها لمحاربته ، لكن المهدي بن تومرت ألحق هزيمة بالجيش المرابطي . وفي تلك السنة تمت مبايعته، وحارب المرابطين حتى وفاته سنة 524هـ ، وذلك قبل أن يكتمل حلمه.وبما أنه لم يتزوج ولم يكن له أطفال ، فقد تولى قيادة الموحدين عبد المؤمن بن علي الكومي الذي يرجع إليه الفضل في وضع الدعائم الأساسية للدولة الموحدية والقضاء على المرابطين . وقد ولد عبد المؤمن سنة 487هـ بقرية تاقرا من سواحل تلمسان . والتقى بالداعية الكبير بن تومرت في بجاية ومن هناك نشأت بينها الصداقة. وبعد أن تمكن عبد المؤمن من احتلال مراكش التي أصبحت عاصمة للموحدين ، توجه إلى مدينة بجاية وقضى على دولة الحماديين ، ثم احتل عنابة ، وواصل مسيرته إلى تونس ومدينة المهدية فاستولى عليهما. وبعد أن استولى عبد المؤمن على المغرب العربي كله من طرابلس إلى طانجة ، قرر أن يتحول إلى الأندلس التي بايعه أهلها سنة 542هـ وفي سنة 556هـ عبر البحر إلى جبل طارق ، ومنه إلى الأندلس حيث حارب النصارى في غرب الجزيرة وانتصر عليهم.وعندما عاد إلى المغرب ، وافته المنية سنة 558هـ.وتولى الخلافة بعده إبنه يوسف الذي أتم ما بدأه والده.(1)وتعتبر الدولة الموحدية أول دولة وحدت المغرب العربي سياسيا وعسكريا لأنها دمجت العناصر البربرية والعربية في الجيش ومذهبيا تؤمن بعقيدة واحدة هي الأشعرية ومذهب في الفقه واحد وهو مذهب الإمام ملك.(2)

الدولـــة الحفصيـــة فـــي المغـــرب الأدنـــى: (625ه-893ه) (1228م-1488م)

لقد تمكنت دولة الموحدين من توحيد المغرب العربي ، لكن إنهزام قادة الموحدين في " وقعة العقاب" في سنة 609هـ ، دفع بالولايات ورؤساء القبائل البربرية أن يتمردوا ويعلنوا العصيان على الموحدين ؛ ومن الدويلات التي تمردت على الدولة الموحدية: " دولة بني حفص (التي كان مقرها تونس) ودولة بني زيان (في الجزائر) ودولة بني مرين (في المغرب الأقصى) " (3) تأسست الدولة الحفصية على يد أبو زكرياء يحي الحفصي الذي كان عاملا على تونس والقيروان ، مع العلم أن أبو حفص الذي سميت الدولة باسمه ينتمي إلى جماعات إبن تومر مؤسس الدولة الموحدية ، تم تعيينه على ولايات في الأندلس والمغرب الأقصى ثم تعيين أحفاده على تونس ؛ وعند انهزام دولة الموحدين

1-ينظر:عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر،ص40و41
2-ينظر:عبد العزيز الشهبي:تاريخ المغرب الإسلامي،ص74
3-عمار بوحوش: المرجع نفسه ، ص42

فـي الأنـدلس،أعلـن أبو زكريا إستقلال تونس عن دولة الموحدين سنة 627هـ.ثم قام بإحتلال قسنطينة وبجاية سـنـة 628هـ ثـم مـديـنـة الـجزائر سنة 632هـ ثم تلمسان سنة 640هـ، ثم قام بفتح مراكش سنة 668هـ، بالإضافة إلى الأندلس الشرقية التي بايعها أهلها سنة 635هـ.وبعد وفاته سنة 647هـ انقرضت دولة الحـفـصـيـين بسبب الـتـنـافس بين أمراء البيت الحفصي وتطلعهم إلى الخلافة من ناحية والخلافات من ناحية أخرى.(1)

<u>الدولة الزيانية فـــي المغـــرب الأوســـط</u> : (633هـ - 962هـ) (1235م- 1554م)

الـزيـانـيـون هـم حلفاء للموحدين الذين سيطروا على شمال إفريقيا ، ومكافأة لهم على هذا التحالف مع المـوحـدين ، أعطيت لهم منطقة تلمسان ليديروها على أن يخضعوا لسلطتهم،إلا أن الوضع تغير يوم ضعفت الـدولـة الـمـوحـدية حيث أعلن يغمراسن نفسه أميرا على تلمسان سنة 633هـ . وعندما خرج إليه الخليفة المـعتصم لكي يسترد سلطته على إمارة تلمسان ، تمكن الأمير يغمراسن من قتله . وقد تمكن الحفصيون من محـاصـرة تـلمـسـان سنة 640هـ لـكن والدة يغمراسن تفاوضت مع الحفصيين واتفقا على دفع أموال سنوية لـخـزيـنـة الـدولـة الحـفـصـيـة . كما أن يغمراسن كان يعاني من تدخل الدولة المرينية في شؤونه الداخلية ، ومـحـاولة عزله. وقد وافته المنية سنة 681هـ.وهكذا تولى بعد يغمراسن إبنه أبو سعيد عثمان الذي سالم الحـفـصـيـين شـرقا والمرينيين غـربا، لكنه تفرغ لفرض سيطرته على الدويلات الصغيرة بالجزائر وخاصة دولة مـغـراوة الـمـنـافسة للزيانيين . وبالتالي فإن الزيانيين قد دخلوا في صراعات وحروب متواصلة ، تارة مع المرينيين وتارة مـع الحفصيين ، كـمـا أن الـقـادة الـمحـليين أصبحوا يتحالفون مع الإسبان ضد الدولة الزيانية. ونـتـيجة لهذه الأسباب انهارت الدولة الزيانية سنة 962هـ - 1554م.(2)

1-ينظر:محمد بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر،ص44

2-ينظر: المرجع نفسه،ص45و46

الدولة المرينية في المغرب الأقصى: (668هـ - 869هـ) (1269م - 1465م)

ينتمي المـرينيون إلـى قبيلة زنات و" كانوا يقطنون الزّاب ثم نحوا عنها غربا عند مقدم الهلاليين ورفضوا التعـاون مـع المـوحدين " (1) ، وجدّه الأعـلى زناتة ، وزناتة هذا حسب ما قاله ابن رشيق " أصل زناتة من الشام وكانت دارهم فلسطين وملكها جالوت فلما قتله داوود عليه السلام جاءت البربر إلى المغرب فانتشروا إلـى الـسـوس" (2)

وقد ظلت الدولة المرينية في صراع مع الموحدين ، دام ثمانية وخمسين سنة، استطاع المرينيون بما لديهم من خـبـرة وقـوة أن يـسجلوا التفوق على الموحدين ،ففي سنة 668هـ تمكن المرينيون من مدينة مراكش عاصمة الموحدين ، وبذلك بسطت هذه الدولة الجديدة نفوذها على المغرب الأقصى بأكمله، وقد استمر حكم هذه الدولة حتـى عـام 869هـ .

ويمكـن الـقـول أنّ أهـم مـا يميز الدولة المرينية من الناحية السياسية ، تلك الفترات الزمنية التي كانت تتسم بالحرب، ومحاولة غزو للدولتين المجاورتين لها، وهما الحفصية والزيانية ، هذه الأخيرة التي عرفت نوعا من العلاقات المتوترة في كثير من الأحوال مع الدولة المرينية.

ومن خلال هذا العرض الموجز لما كان يميز الساحة السياسية في شمال إفريقيا ، يمكن القول أن سمة الصراع بـيـن الـدول كانت ظـاهرة، وقـد أدى هـذا الصراع إلى تدهور الخلافة الإسلامية في الأندلس، وكذلك في المغرب الإسـلامي ، مـما سـمـح لـلنفوذ العثماني بالـظـهـور عـلى الساحة السياسية.

1-محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 1981،ص251
2-محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلسي في العصر المريني، دار القلم ، الكويت، ط1،سنة 1975،ص03

2-الحياة الفكرية و الثقافية:

إذا كانـت الحياة السياسية قـد اتسمت بالإضطرابات ، فإن الحالة الفكرية قد تميزت بالتنافس الحاد الذي فتح باب الإجتهاد في كثير من العلوم والفنون والآداب ، وبهذا أصبحت المغرب منطلق الدعاة وإليها صـــار يرتحل طلاب العلم من مختلف البقاع و الأقاليم ، وأجمعت المصادر على مجموعة من الأسباب ساهمت في بناء حيـاة فكريـــة فـــي المغـــرب الإسلامـــي:

أ-التعليـــــم:

يبـدو أن النهضة العلمية التي عرفهـــا المغرب العربي ، كانت منطلقاتها الأولى من سياسية التعليم الرشيدة ، فلما أدرك الفاتحون بلاد المغرب الإسلامـي استكثروا من بناء المساجد والزوايـــا والكتاتيب ، وتطورت بتطور الحيـــاة السياسيـــة والإجتماعيـــة، وسنتعـرف علـــى أهـــم هـــذه المراكـــز:

*** بنـــاء المســـاجد:**

يـعد المسجد أهـم المنشـــآت العلمية العامة في المدينـــة الإسلامية باعتباره المركز الرئيسي في حياة المجتمع بـــالإضافة إلـــى وظيفته الدينيـــة والتعبديـــة والعلميـــة، فكان مركزا هامـــا تناقش وتبحث فيه شؤون المجتمع.

ففي المسجد استقبل الـــرسول صلى الله عليه وسلم سفـراء الدول لتنظيم علاقته بدولهم ، وفيه كان يخطب في المسلميـــن وينظـم شؤونهـــم ويعلمهـــم دينهـــم.

ففـــي عهـــد الخلفـــاء الراشديـــن كانوا يعلنون من منبره الأحداث التي تواكب الفتوحات ، ويرشدون الجيوش بخطب تسبق تحركاتهـم ، وبعد حركة اتساع الفتوحات وانتشار الإسلام وتمصير المدن كان المسجد ممثل البلاد حيث كان الأميـــر من فوق منبره خطبتـــه الأولى يشرح فيها خطوط سياستـــه العامة.

وهكـــذا واصـــل المسجد رسالتـــــه المتمثلة في التدريس والتعليم ، إذ كان بمثابة المدرسة الأولى في الإسلام، وتطـــورت هذه المؤسسة لتتفرع عنها مراكز تعليمية أخرى ، كـــالمسيد الذي صار قائما بذاته من حيث البناء والمقصد.(1) بـــالإضافة إلـى هاتين المؤسستين ظهرت الزوايا إلى جانب الكتاتيب التي كانت تقوم بدورها في تعليـــم الصبيـــان في مرحلتهم الأولـــى من التعليم يلتحق بهـا العديد من أولاد المسلمين ذكورا وإناثا، وكانت الكتاتيب فـــي فترتها المبكرة خياما ثم أصبحت بعد حركة الاستقرار دورا ،وقد انتشرت انتشارا كبيرا في البدو فـــي مقابـــل المسيـــد بـــالنسبة للحضـــر.

1-ينظر:عبد الحليم عويس: دولة بني حماد (صفحة مشرقة من التاريخ الجزائري)، دار الشروق، بيروت،سنة 1980،ص253

***المكتبـــــات:**

بـــالإضافة إلى دور العلم التي عرفتها منطقة المغـــرب الإسلامـــي والتي سبق ذكرها، أنشأت المكتبات العامة الملحقـــة بـــالجوامع والزوايـــا والتـــي تزخر بالكتب في مختلف العلوم والفنون ، والتـــي كانت مفتوحة أمام الدارسيـــــن.

فكـــانت بمثابـــة مؤسسات تعليميـــة تدرس فيها العلـــوم التي تستوعبها المساجد كالعلوم الطبيعية مثل: الطب والرياضيـــات وغيرها ومن أشهر المكتبات التي شيدت في المغرب بيت الحكمة. فعلى غرار ما أنشأ العباسيون في بغداد ، أنشأ الأغالبة بيت الحكمة في القيروان ، الذي يحوي مكتبة عظيمة تنافس ما بناه المأمون العباسي.

يعتبـــر بيت الحكمـــة أول دار للدراسة العاليـــة، ووصف بيت الحكمـــة بأنه بناية كبيرة فيها عدد من القاعات والحجرات الواسعـــة موزعة في أقسام: قسم للنسخ وآخر للاطلاع ، وثالث لمحاضرات كبار العلماء، إلى جانب مخـــزن للكتب والأدوات الفلكيـــة والأدوات الفلكيـــة والتنجيـــم.

وتـــرأس العالم الرياضـــي أبـــو اليسر الشيباني البغدادي بيت الحكمة المصنفات المترجمة من اللغات الأعجمية كاليونانيـــة ، والسريانيـــة، والفارسيـــة والسنسكريتية، التي ترجمت في الشام والعراق والحيرة ، أواخر العصر الأمـــوي وأوائـــل العصـــر العباســـي والتي شملت جميع فروع المعرفة من فلسفة وطب وجغرافية وفلك ونبات وحســـاب وهندســـة وغيرهـــا،(1)

1-ينظر:نجوى عثمان: مساجد القيروان،دار عكرمة،دمشق،ط1،سنة2000،ص25

ب/ المـــذاهب والفـــرق الدينيـــة:

***المـــذهب الشيعـــي:**

يـــرجع الفضـــل في نشر المذهب الشيعـي الإسماعيلي إلى الفاطميين ، وغلبته على منطقة المغربين الأدنـــى والأوسط .وفد المذهب قادمـــا من مصر كما وفدت المذاهب الإسلامية الأخرى على يد مؤسس الدولة الفاطميـــة عبيد الله المهـــدي ، وتقـــوم خطة الشيعة على القول " بالإمـــام المهدي المنتظر ، وتفضيل آل البيت من أبناء (فاطمـــة) ، وتقدم (علـــي بن أبي طالب) على الصحابة ، وأنه الوصي على الخلافة...وأنها مستمرة في ذريته إلى النهاية "(1)، وعقـــدوا المجـــالس والمناظرات لإقناع أهل البلاد بصحة مبادئهم، ثم لجأوا إلى الإضطهاد ، حين فشلت وسائلهـــم في إدخـــال المغاربة في مذهبهم، ومن هنا زال المـــذهب الشيعي من بلاد المغرب.

***المـــــذهب المالكـــــي:**

انتشـــر المذهب المالكي في إفريقية قبـــل مجيء الأغالبـــة ، رحل الكثير من فقهاء المغرب إلى مصر والحجاز طلبا للعلـــم والمعرفة ، ثم عـــادوا متأثرين بمـــا سمعوا ثم جاء أسد بن الفرات فقيه القيروان، ورحل إلى مصر وسمع من علي بن القاســـم إمـــام المالكيـــة بمصر تأثر به، وألف كتابا مشهورا في تاريخ الفقه في المغرب إسمه(الأسديـــة)، والملاحظ أن ما سمعه المغاربة من علمائهم الراحلين إلى مصر أو من أسد بن الفرات حببهم فـــي هذا المذهب فاشتـــد إقبالهم عليه(2) وهذه الرغبة في الإستزادة من علم مالك دفعت سحنون بن سعيد ألى الرحلة إلى مصر ليسمع من علـــي بن القاسم، وأقام بالفسطاط مدة من الزمن ثم عاد إلى المغرب وجمع خلاصة دراستـــه للمالكية في أول كتاب ظهر في فقـــه مالك في الموطأ سماه (المدونة).فكان له الفضل إلى دخول الناس في المذهب المالكي جماعات ، وذاع صيتـــه إلى الأندلس ؛ وكان مذهب أبي حنيفة قد وفد هو الآخر إلى إفريقية مع قيام الدولة العباسية ، ولكنه لم يلق إقبالا لقلة إعتماده على الحديث وميله إلى الرأي والاجتهاد ، والحقيقـــة أن مذهب الإمام مالك في عهد الإمام سحنون ، تغلب على مذهب أبـــي حنيفة وبدأ المالكيـــة يغلبون على الحياة الثقافيـــة في المغرب بكاملهـــا ، ووقفوا للمذاهب الأخرى بالمرصاد ، وأصبح المذهب المالكي يتصدر المذاهب والعقائـــد فـــي المغـــرب الإسلامـــي ومصـــدر الأحكـــام والتشريـــــع.(3)

1-عبد العزيز شهبي:تاريخ المغرب الإسلامي،ص48
2-ينظر:حسن أحمد محمود و أحمد إبراهيم الشريف:العالم الإسلامي في العصر العباسي،دار الفكر العربي، القاهرة،سنة1973،ص250
3-ينظر:المرجع نفسه،ص251

ج/العـــــــلوم:

بعدما قمنا بذكر المراكز العلمية ، سنتناول أهم العلوم التي كانت تدرس في هذه المراكز والتي انقسمت إلى:

***العلـــوم النقليـــة:**

وتعتبـــر العلوم النقلية من العلوم التي رسخت للحياة العلمية الراقية في المغرب العربي وتندرج تحتها العلوم الشرعيـــة، وهي تلك العلـــوم التي تقام الدراسة فيها حول كل ما يخص الشريعـــة الإسلامية سواء في العقيدة الإسلاميـــة أو العبـــادات أو المعاملات من قـــرآن وحديث وفقه وتفسير وغيرها وما يتفرع منها، وتنشأ هذه الدراسة بطبيعة الحال بدخول الناس في دين الله الخالد إذ لابد للمسلم الجديد أن يتعلم القرآن قراءة وفهما.(1)

***** علـــوم القـــــرآن:**

مرت علوم القرآن عموما والقراءات بمراحل متعددة وقد كان للصحابة والتابعين الذين وفدوا إلى بلاد المغرب خلال الحملات المتعددة دورهم في تلقين علوم القرآن، فأول ما سعت إليه الجيوش الفاتحة هو تلقين مسلمـــي البلاد المفتوحة القرآن الكريم ، وتعليمهم معانيه والعمل به، وفي هذا الصدد يذكر مؤرخو الطبقـــات والتراجم الصحابـــة والتابعيـــن الوافديـــن إلى إفريقيـــة لتولـــي هـــذه المهمة .

ويمكـــن تقسيـــم المراحـــل التي مرت بهـــا القراءات في بلاد المغرب إلى مراحل:

فـــي المرحلة الأولى أخذ المغاربة عن بعض الصحابة والتابعين الذين لقنوهم القراءات التي ورثوها عن النبي وكبار الصحابة رضي الله عنهـــم. وفي المرحلة الثانية تلقى المغاربة القراءات على يد البعثة الدينية الرسمية التي أرسلها عمـــر بن العزيز إلى إفريقيـــة وتقيدوا بالقراءة التي كتبت عليها المصاحف العثمانية، وبعد هذه المرحلة عرف المغاربة ظهور القراءات السبع.

ولقي التفسير عناية فائقة في المغرب العربي كما لقيها في المشرق العربي ، ففي منتصف القرن الثاني دخلت بعض أجزاء تفاسير المشارقة في القيروان ورويت بها، مثل : تفسير المسبب بن شريك الكوفي الذي كان يقرأ على أسد بن الفرات في جامع عقبة، وظهر في القيروان أول تفسير كامل على يد يحي بن سلام وهو التفسير الوحيد الذي ظهر في القيروان خلال هذه الفترة.(2)

1-عبد القادر رضوان فاطمة: مدينة القيروان في عهد الأغالبة (184هـ-296هـ)،رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى،سنة1991،ص216
2-ينظر:التليسي بشير رمضان: الإتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي من خلال القرن الرابع هجري العاشر ميلادي، دار المدار الإسلامي،بيروت،ط1،سنة2003،ص435

*** علم الحديث والفقه:**

علم الحديث هو علم يبحث في كل مايتعلق بالحديث النبوي من تحقيق للأخبار والرجال وتحقيق للتواريخ والوقائع ، والحديث أو السنة هو ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل وتأتي مكانة الحديث عند المسلمين بعد القرآن مباشرة.

وعرف أهل إفريقية علم رواية الحديث منذ بداية عهدهم بالإسلام، وبدأت كتب الحديث تعرف طريقها نحو بلاد المغرب منذ أواخر القرن الثاني الهجري والثامن ميلادي، وازداد انتشارا في القرون التالية.(1)

ويستفاد من بعض الروايات أن الموطأ للإمام مالك بن أنس قد دخل بلاد المغرب على يد علي بن زياد 183هـ ثم تبعته كتب أخرى مثل : مصنف ابن أبي شيبة الذي دخل على يد بقي بن مخلد 276هـ.(2)

أما الفقه فكان الفقه المالكي أكثر رواجا في بلاد المغرب وقد جاءها ذلك بتأثير المدرسة الفقهية التي كان علماؤها يقصدون المدينة المنورة لأداء مناسك الحج ، ثم يعودون إلى ديارهم وقد تشبعوا بأفكاره، فازدهرت الحركة الفقهية على مذهب مالك كثيرا، وامتزجت دراسة الفقه بعلم الأصول.

***العلوم العقلية:**

***اللغة العربية و آدابها: إن انتشار وازدهار القرآن والحديث أدى إلى انتشار اللغة العربية ، فقد حرص قادة الفتح على نشر اللغة العربية تزامنا مع نشر الإسلام والعمليات العسكرية ، وأقبل البربر على تعلم اللغة العربية باعتبارها ، لغة الدين الذي آمنوا به والقرآن الذي يرددون بعض سوره وآياته في عبادتهم، ثم الجد والنشاط الذي أبداه العرب المسلمون في تعليم اللغة العربية للبربر وفتح الكتاتيب ، وجعلها لسان الدولة الرسمي بعد اتمام الفتح فكانت دواوين الدولة منذ أنشأها في أيام حسان باللغة العربية فالمكتبات والرسائل والشكاوى وخطب الأعياد وغير ذلك من المصالح الإدارية المتعلقة بأمور الدولة كلها كانت باللغة العربية.(3)**

1-ينظر:التليسي بشير رمضان:الإتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي من خلال القرن الرابع هجري العاشر ميلادي،ص449

2-ينظر:المرجع نفسه،ص499

3-ينظر:زيتون محمد محمد:القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية،دار المنار للنشر، القاهرة،سنة1988،ص215

***<u>النحو:</u> بـــرزت الحاجة إلـــى علـــم النحو بعد الفتوحات الكبرى التي حققها العرب واتساع رقعة العالـم الإسلامـــي، واختلاط العرب وغيرهم من الأمـــم فسد اللســـان العربي ، فاندفع عدد من الحريصين على اللغـة وسلامتها بوضع قواعـــد وأسس للغـــة العربيـــة.(1)**

وعليه عظـم الإهتمام باللغة والنحو ، وبذل العلماء جهودا كبيرة في تحصيل العلوم العلمية وأقبل الطلاب على الأساتـــذة المتخصصين فأخذوا منهم قوانين اللغة النحوية والصرفية والبلاغية وقوانين الشعر العروضية ودرسوا مذاهب البصريين والكوفيين في النحو والصرف ، وقد استطاع علماء القيروان أن يضيفوا إلى دراسة علـــوم العربيـــة التي كانت تدرس في المشرق من نحو اللغة وصرفها وابتكار دراسة جديدة وهي دراسة النحو المقـــارن وكـــان ذلك بين اللغـــة العربيـــة والعبريـــة والبربريـــة.(2)

ولقـــد كانت إسهاماتهم كبيرة في علم النحو حيث عكفوا على دراسته ودراسة الكتب التي تم تأليفها فيه، وقد" روي أن ابن الوزان القيروانـــي قد حفظ كتاب العيـــن للخليل بن أحمد الفراهيدي، وكتاب سيبويه،وكـــان يـــعرف بشيـخ المغـــرب فـــي النحـــو".(3)

1-ينظر: التليسي بشير رمضان: الإتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي من خلال القرن الرابع هجري العاشر ميلادي،ص472
2-ينظر:زيتون محمد محمد: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية،ص326
3-التليسي بشير رمضان: المرجع نفسه،ص473

***التاريـــخ: يعتبـــر علم التـــاريخ من العلوم التي اهتم بها المغاربة، عقب الفتح العربي لبلاد المغرب؛ حيث اهتمـــوا بتاريخ الرسـول الكريم وسيرته وأقواله وغزواته التي دونت في السير، ثم كان لعلم الحديث أثره على علـــم التـــاريخ.(1)**

ومن أقـــدم المؤرخون الذين كتبوا في إفريقية ولم تصلنا كتبهم عيسى بن محمد بن أبي مهاجـر وجده أبو المهاجر ، هو الذي تولى إفريقية بعد ولاية عقبة في المرة الأولى ،وقد ألف كتابا في فتوح افريقية ، وقد توفي فـــي نهاية القـــرن الثاني الهجري ، وعبد الله بن أبي حسان اليحصبي الذي كان عالما بالتاريخ وأنساب العرب ، وقال عنه الدباغ " أنه من أعلم الناس بالتاريخ ويذكر المنجي الكعبي أن له كتابا في التاريخ مفقود أيضا وقد توفـــي سنة227هـ عن سبـــع وثمانيـــن سنـــة"(2)

وخلال حكم الفاطميين وجه أبـــو حنيفـــة النعمـــان المغربي جانبا من فكره إلى الناحية التاريخية ،" فألف كتاب شـــرح الأخبـــار و أرجوزة تسمى ذات المنـــن و أخرى تسمـــى ذات المحن وقد فقدا ، وأما كتابـــه افتتاح الدعوة الزاهرة فهو من أشهر كتبه التاريخية وهو مخطوط محفوظ بجامعة القاهرة." (3)

وعليـــه فإن علم التـــاريخ في المغرب كان اهتمامه منصبا في دراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وغزواتـــه وذلك اقتداء بالفكر التاريخي في المشرق ، كما كان منصبا في دراسة تاريخ الأمـم السابقة وتسجيل حيـــاة العلمـــاء ، كمـا بـــرز الإهتمام بـــدراسة الأنساب.

***أما علم الجغرافيـــا فقد اتخذ طابع المعرفة للمسالك والممالك التي كان يسلكها التجار ، غير أن مألف في علـم الجغرافيـا في بلاد المغرب خـــلال القـــرون الإسلاميـــة الأولـــى ، لـــم يحتفظ لنـــا المؤرخـــون العـــرب بشـــيء منـــه.(4)**

1-التليسي بشير رمضان: الإتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع هجري العاشر ميلادي،ص479
2-زيتون محمد محمد: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية،ص370
3-المرجع نفسه،ص372
4-ينظر:التليسي بشير رمضان:المرجع نفسه،ص478

ومن أشهـــر المؤلفات في علم الجغرافيا، ما ألفه محمد بن يوسف الوراق القيرواني سنة 363هـ، وهـو كتـاب ضخم في مســالك إفريقية وممالكها ، وعنه ينقل البكري الكثير من المسالك والممالك ، وما ينقله " يبين كيــف كـــان الوراق دقيقـــا في وصفه مع ملاحظاته للظواهـــر مثل تعدد الأدوار للبناء وكيفية بنائه ومرابطة النســاء وتخصيص أماكن لهن ثم الحمامات"(1)

***الطب والصيدلة:** يظهر من الأخبار التاريخية أنه كانت للعلوم بمختلف تخصصاتهـــا مكانـــة مرموقـــة عند المغاربة لأهميتها ودورها الفعال في تقدم المجتمع ورفاهيته، والملاحظ أن هذه العلوم لم يكن أصحابها بمعزل عن العلوم الدينية واللغوية على الرغم من التخصص ، بمعنى أن المؤلفيـــن في هذه العلوم كانوا موسوعيين يؤلفون في مختلف العلوم والفنون ، كالنحو واللغة والشعر وغيرها.**

ويشير المؤرخون إلى أن البداية الحقيقية للفكر الطبي ، قد بدأت على يد الطبيب المشهور" إسحـــاق بـــن عمران وهو طبيب بغدادي تعلم في بغداد وبرع في الطب ، حتى اشتهر بسم الساعة لما يظهر من سرعة تأثير الأدوية التي كان يصنعها للمرضى"(2) ومن الأطباء البارزين أيضا : إبن النبـــاش البجائي المتوفى في أواخر القرن الخامس الهجري، كان طبيبا مواظبا على علاج المرضى ، إلى جانب إحاطته بالعلوم الطبيعية والفلسفية ، وعمر البيدوخ أبو جعفر القلعي الذي كان خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة وعارفا بالأمراض وعلاجها، ترك كثيرا من المؤلفات الطبية ، منها كتاب (حواش على كتاب القانون) لابن سينا و(شرح الفصـول) لأبي قراط في أرجوزة ، و(ذخيرة الألباب في الباءة).(3)

1-زيتون محمد محمد: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية،ص375
2-المرجع نفسه،ص394
3-رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وحضارته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،سنة1968،ص217

-الحياة الأدبية:

لـم يبدأ الأدب فـــي المغرب العربي بالبـــروز فعلا إلا في الـــقرن الثالث للهجـــرة، وهذا لاعتبارات كثيرة منـها: " أن القرن الأول بشكل خاص كان فترة الفتح، ثم الصراع بين الإســلام والوجود البيزنطي أولا، ثم بين الولاة والأمـــراء المحليين من البربر ...مثلما كان عصر صراع وتنافس على السلطة بين الولاة أنفسهم"(1) ، ولــهذا فإن المناخ الملائم لأدب عربـــي مغربـي لم يبرز" إلا بعد ما بدأت تتحد ملامـح المنطقـة في بعدهـــا الحضاري الجديد في القرن الثانـي والثالث للهجرة"(2) بعدما استقرت الأوضاع السياسية نسبيـا منذ تولـــي (موسى بن نصير) الذي عينه(الوليد بن عبد الملك) على إفريقيا سنة 86هـ ، فكانت هذه هي المرحلة الثانية بعد مرحلة الفوضى والفتن خاصة التي أعقبت مقتل (عقبـة بن نافـع) فقتل (مـوسى بن نصيـر) المرتدين عن الإســلام ، وعمل بجد لـفرض النظام وتوفيـــر الأمن للمواطن في حياته ومعاشـه، فهيأ بذلك أرضية جيدة للتطلع نحو آفـــاق أخرى للفتـح الإسلامـــي في الجانب الغربي من الإمبراطورية الإسلاميـة، وفتحت المساجد أبوابهـا للعلم والتعليم، وراح الخلفـــاء والأمـــراء يعطفون على العلمـــاء والأدبـاء ، ويشجعون العلـم والأدب ، وراح المغاربـة يتذوقون التـــراث العربـــي ، إلى أن تـم التمازج وكـــان الوعي، وإذا هنالك أدب عربـي ينشأ ويتطـــور وفقـــا للحيـــاة.

***الشعر المغربي القديم:**

إن أي حديث عن أدب ما، يقودنا لا محالة للحديث عن شعره ، لأن العرب جبلوا على حب الشعر ينشدونه في كل وقت، بمناسبـــة وبغيـــر منـــاسبة ، فلابد أن تتمثل بداية الأدب في الشعـر ، يتغنى به الجند الفاتحون ، ويحفظونه ، ويردده العرب القادمون و المستقرون في أرض المغرب ، ومن الطبيعي أن العرب الفاتحين يكون من بينهـــم شاعـر محنك يتلقـــى عنه أهـــل المغرب ما ينظم من شعر، فيتناقلونه ، وقد ترجمت المصادر لعدد من هؤلاء الذين مثلـــوا البدايات الأولى للشعـــر في المغرب ومن هؤلاء" الحسـام بن ضرار وهو من الشعراء المفوهيـــن، وقد أورد له إبن الآبـــار أشعـــارا وقصائـــد عديدة، ومنهـــم الحكم بن ثابت السعدي وهو من ولد سلامـــة بن جنـــدل ، وقد سكن القيـروان وكان يروي أشعارا كثيرة للجاهليين والمخضرمين ، وكان هو نفسه شاعـــرا مجيـــدا من أتبـــاع الأغلب بـــن سالـــم ، وقـــد رثـــاه عنـــد وفاتـــه فـــي قصيـــدة مطلعهـــا:

لقد أفسد الموت الحياة بأغلب غداة غدا للموت في الحرب معلما "(3)

1-عمر بن قينة: أدب المغرب العربي قديما، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،سنة1994،ص7
2-حنا الفاخوري: تاريخ الأدب في المغرب العربي، دار الجيل، بيروت، ط1، سنة1996،ص48
3-طه علي خليفة الحجازي: أدب القيروان في عهد الأغالبة والفاطميين، المكتب الجامعي الحديث، الأردن، سنة 2011،ص24

-كما كان للصراعات الداخلية التي حدثت في المغرب ، وما دار فيها من مراسلات شعرية بين المتصارعين دور في دفع الشعر إلى الأمام دفعة قوية ، ومن هذه الصراعات ما كان مع الأغلب بن سالم الذي ولاه المنصور القيروان (وهو جد الأغالبة) ، وقد حاول الأغلب نشر الأمن والسلام في البلاد ، غير أن بعض جنده ثار عليـه ، فكثرت بينهم إضافة إلى الحروب القصائد التي تحمل معاني التهديد والوعيد ، كتلك القصيدة التي يدعو فيهـا الأغلب قائد جنده الطاعة وعدم الخروج عليه في قوله:

" ألا من مبلغ عني مقالا يسير به إلى الحســـن بن حرب*

فإن البعض أبعده وبـال عليك وقربه لك شر قرب وعفوي

فإن لم تدعن لتنال سلما فـــادن مـن طعنـي وضربـــي " (1)

ومما لا شك فيه أن البيئة المغربية القديمة كغيرها من البيئات ، عرفت أغلب أغراضه، ومنها:

<u>أولا: شعر المدح:</u>

هو أحد أشهر الأغراض الشعرية، وعنه قال إبن رشيق: " وسبيل الشاعر إذا مدح ملكا أن يسلك طريقة الإفصـــاح والإشـــادة بذكر الممدوح ، وأن يجعل معانيه جزلة وألفاظه نقية غير مبتذلة سوقية ويجتنب التقعير والتجاوز والتطويـــل ، فإن للملك سآمة وضجرا ربما عاب لأجلهـا ما لا يعـاب وحـرم من لا يريد حرمانه"(2)

وكان المداحون في المغرب " نادرا ما يتنـــاول السلطة بمفهومهـــا التقليدي كما هو مألوف في قصيدة البلاط، إذ يتناول فيه الشعـــراء القـــواد المجاهدين و الأبطـــال المنتصرين، أو الشهداء الفائزين بالشهادة في ميـــدان المعـركـــة " (3)

***الحسن بن حرب: من كبار القادة والفرسان بإفريقية ، وقد ثار على الأغلب ودخل القيروان**
1-طه علي خليفة الحجازي: أدب القيروان في عهد الأغالبة والفاطميين،ص25
2-أبو الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ج2، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر،سنة2007،ص 77
3-العربي دحو: الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمارات الإغليبية والرستمية و الإدريسية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1994، ص65

وهذه الخاصية البارزة في مدح هؤلاء ، جعلتهم يساهمون في صنع الحدث ، الذي يبرز هذا البطل أو ذاك، أو أي شهيد من الشهـداء يسـقط فـي معركـة من المعارك، فهم " لا يذهبون بمدائحهم إلى القصور ينشدون المقابـل ، وإنمـا يسجلـون خواطـر الإعجـاب والتقديـر عن أشخـاص أدوا عمـلا متميـزا " (1) وعلى العمـوم ، فـإن المعانـي التـي نراها بـارزة في نص المدح نجدهـا تـدور حول أفكـار ثلاثـة هـي: المدح التقليدي الذي يقصد بـه التكسب ، ومثلـه نص ربيعة بن ثابت الرقى ، من بتي أسد ، مدح به يزيد بن حاتـم بن قصيبـة، قـال فيـه:

" لشتان ما بين اليزيدين في الندى يـزيد سليـم والأغربـن حاتـــم

يزيد سليم سالم المال والفتـــى أخو الأزد للأموال غير مسالـــم

فهمّ الفتـــى الأزدي إتلاف مالـه وهمّ الفتى القيسي جمع الدراهم

فلا يحسب التمتـــام أنى هجوته ولكننـي فضلت أهـل المكـــارم " (2)

أمـا النوع الآخر من المدح ، والذي يتناول الأمـراء والقادة ، ومثلته مقطوعة لعبد الرحمن بن مسلمة في مدح الأمـير زيـادة الله بن ابراهيـم، قالها حين قتل هذا الأخير عمر بن معاوية بطرابلس ، يقول فيها:

" أزرت عمران عمرا في معصفرة من الدماء ارتدى من حولها أبناه

وظن أن دخول الحصن مانعـه من الجيـوش إذا مـا سدّ بـابـاه

فأستنزلتـه العوالـي ملقيا بيـد ووجهـه لـهب النيـران يغشـاه " (3)

فالمقطوعة تمجد عمل الأمير (زيـادة الله بن ابراهيم) ، الذي أنجزه بقتل خصمه عمرو بن معاوية الذي استعمل كل الـوسائل كي لا تصله يد الأمير ، ومع ذلك اجتاز الحصـون ، ونال خصمه بالعوالي التي صوبها نحـوه فأصابتـه بـالرغم من كـل ذلك.

1-العربي دحو: الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمارات الإغليبية والرستمية والإدريسية،ص65
2-المرجع نفسه، ص65
3-المرجع نفسه،ص66

والنوع الثالث الوارد في أشعارهم بصفة مشهورة ، هو ما يجمع بين الفخر ومدح الذات ، حيث يركز فيـه قائلـه عن ذاته ، فيبديه لنـا على أنها لا مثيـل لها ، وهذا النوع من الشعر المغربي ، لأن الظروف التي تميز هذه المنطقـة هي التـي أملتـه على صاحبـه ، " لأن من يريد به رد العـدو من جهة حين يـكون المقصود به عدوا من أعدائـه ، ويكشف عن إمكاناته حين يوجهه إلى من هو أعلى منه في السلطة مريدا بذلك نيل الحظوة لديـه " (1) ويمثـل هذا الإتجـاه قول زيـادة الله بن إبـراهيم ، والـذي بعث بـه إلـى المـأمون :

" أنا النار في أحشائها مستكنة فـإن كنت ممـن يقـدح الزند فاقدح

أنا الليث يحمي غيله بزئيـره فـإن كنت كلبـا حان مـوتك فانبـح

أنا البحر في أمواجه وعبابـه فـإن كنت ممن يسبح البحر فاسبح " (2)

ثانيا: شعر الوصف:

يقال إنما الشعر وصف ، فالمتغزل يصف لنا شوقه لخليله ، والمادح يصف لنا خصال ممدوحه ، والراثي يصف لنا مناقب فقيـده والهاجـي يصف لنا مثالب غريمه ، وهذا ما ذهب إليه عبد العزيز الكفراوي : " من السهل على الـدارس تحديد ما يراد بـالمدح أو الفخر أو الهجاء ، ولكننا حين نتدبر كلمة الوصف ، نرى أن شطـرا كبيـرا من الشعـر العربـي يمكن أن يدخـل تحتهـا " (3)

ومن نماذج هذا الغرض مقطوعة لبكر بن حماد يصف فيها جو (تاهرت) ، وهي مسقط رأسه ، يقول فيها:

" ما أخشن البرد وريعانـه وأطـراف الشمس بتاهرت

تبدو من الغيم إذا ما بدت كأنهـا تنشـر مـن تخت

فنحن في بحـر بلا لجة تجري بنا الريح على السمت

نفرح بالشمس إذا ما بدت كفرحـة الذمى بـالسبت " (4)

يصف بكر بن حماد جو تاهرت بأنه شديد البرودة لاذع ، كثير الغيوم المتراكمة حتى يهيأ للمرء في هذا الجو، والرياح العاصفة تهدر من حوله أنه يخوض بحرا، ولا بحر هناك لذا تبدو الشمس حينما تشرق طريفة جميلة يفرح بها أهل تاهرت ، كفرحة الذمى بيوم عطلته وراحته يوم السبت

1-العربي دحو: الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمارات الإغليبية والرستمية و الإدريسية، ص67
2-المرجع نفسه، ص67
3-عبد العزيز الكفراوي: تاريخ الشعر العربي،ج3، دار النهضة للطبع والنشر،الجزائر،ص98
4-طه علي خليفة الحجازي: أدب القيروان في عهد الأغالبة والفاطميين ، ص46

وقد تفنن في عهد الفاطميين في الوصف، " إذ كانت لهم فيه من البراعة والدقة والإبتكار والتجديد والتفنن والسحـــر ، ما جعـــل وصفهم يأخذ بالألباب ، ويسحـــر العقول ، فوصفوا الدور والقصور ، وافتتنوا بالنوريات والريـــاض ، ومجـــالس الطرب واللهـــو ، وأبدعوا في وصف الخيل ، والحديث عن ألوانها وسرعتها ، وكان لمستحدثـــات الحضـــارة نصيب وافـــر من هـــذا الفـــن " (1)

وفـــن الوصف عند الفاطميين ، لم يأت كغرض مستقل بذاته إلا قليلا ، لكن اهتمامهم به كان كثيرا ، فعلى الرغم من وقوعه في طيات القصيدة ، غير أنهم كثيرا ما كانوا يمنحونه طابع الاستقلال .

***وصف الأسطول والجيش:**

ومن أشهر شعراء هذا الوصف ابن هانئ ، حين وصف أسطول المعز الدين بقصيدة بلغت أبياتها (99) بيتا ، مطلعهـــا :

" ألا طرقتنا والنجوم ركود وفي الحي أيقاظ ونحن هجود " (2)

فهـــي قصيـــدة يصف فيهـــا أسطـــول المعـــز، والقـــارئ لهذا الـــوصف يشعر بجو من الرهبة والفزع والخوف ، وكأننـــا في أجـــواء معركة بحريـــة رهيبة ، فهو وصّاف بارع ، يعطيك صورة الموصوف ، وكأنك تـــراه بعينـــك. يقـــول:

" أما والجواري المنشآت التي سرت لقد ظاهرتهـــا عـــدة وعديـــد

قباب كما تزجى القباب على المهـــا ولـــكن من ضمت عليـــه أسود

ولله ممـــا لا يـــرون كتـــائب مسومـــة تحـــدو بها وجنود

أطـــاع لهـــا أن الملائـــك خلفها كما وقفت خلف الصفوف ردود

وان الريـــاح الذاريـــات كتـــائب وأن النجـــوم الطالعـات سعود

وما راع ملك الروم إلا أطلاعها تنشـــر أعـــلام لهـــا وبنـــود " (3)

يقســـم ابن هانئ بسفن المعز مشيدا بقوة سلاحهـــا وعدتها وعتادها ، ويشبهها في ضخامتها وشكلهـــا بالقبـــاب المضروبة على الغيد الحســـان ، لكن لا غيد داخلها ، بل رجـال المعز وهم جنود كالأسود ، وقد أيّـد الله سبحانه وتعالى تلك السفن بكتائب من عنده تقودها نحو النصر ، كما أعانها الملائكة التي تصحبها وترعاها وسخر لها الطبيعة التي تمنحها القوة والمساعدة ، وبكواكب تساعدها ، فاجتمع لها ما يجعلها مرهوبة الجانب ، وقد أفزعت بضخامتها ونشر أعلامها ملك الروم.

1-طه علي خليفة الحجازي: أدب القيروان في عهد الأغالبة والفاطميين، ص 46و47
2-المرجع نفسه، ص47
3-المرجع نفسه،ص48

***وصف القصور والرياض:**

كثرت الأموال في المغرب ، مما أتاح للخلفاء التفنن في العمارة والتأنق في زخرفتها ، والوصول بها إلى أقصـــى غـايـــات الدقـــة والجمـــال ، فـــأعجب الشعـــراء بالقصـــور وروعة بنائهـــا.

وكان المنصـور قد بنـــى له قصرا آية في الروعة، وقد وقف إزاءه الإيـادي شاعر الوصف ، فانبهر به ووصفـــه وصفـــا دقيقـــا ، يقـــول:

" ولما استطال المجد واستولت العلا على النجم وامتد الـرواق المـــروق

بنـــى قبة للملك في وسط جنـــة لها منظر يزهى به الطرف مونـــق

بممشوقة الساحات أما عراصهـــا فخضـــر و أما طيـــرها فهي نطق

تحف بقصـــر ذي قصـــور كأنما تـــرى البحر فـــي أرجائـــه يتدفق

لـــه بركة للمـــاء ملء فضائـــه تخب بقطريهـــا العيـــون وتعنـــق

لهـــا جـــدول ينصب فيهـــا كأنـــه حسام جلاه القيـــن بالأرض ملصق " (1)

أعجب الإيادي بقصر المنصور ببنائه المستحكم ، وألوانه المتناسقة ، فهو شاهق الإرتفاع ، قوي البناء ، وسط حديقة غنـــاء ، حوله الطيور بأعذب الألحان وأمام القصر بركة عظيمة واسعة ، تصل المياه إليها في جـــداول طويلـــة تتدفـــق فيهـــا تدفقـــا.

ثالثا: شعر الزهد:

وهو غرض نشأ في الشعر المغربي بتأثير كثرة الترف والدعوة إلى الرجوع إلى البساطة ونقد المجتمع، ومما ساعد على ظهور هذه الحركة كثرة المحاريس والرّبط والصوامع التي بناها الزهاد للعبادة ، والخلو مع النفس ، وبذلك " يعد النهشلي غرض الزهد من الشعر الذي ذهب بالخير كله ، وذلك لصدق قائلـه في وصف شعوره ، ولإشعاع جوانبه بأنوار الخير المتمثل في توبة المذنب وسلوكه طريق الهدى والخـــير ، فهذا الشعر فـــي طليعـــة الأنـــواع التي يـــجب أن تســـود الشعـــر"(2)

1-طه علي خليفة الحجازي: أدب القيروان في عهد الأغالبة والفاطميين، ص54

2-محمد مرتاض: النقد الأدبي القديم في المغرب العربي(نشأته وتطوره دراسة وتطبيق) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سنة2000،ص43

ومن أشهر الشعراء الزهاد: أحمد بن سليمان في مطولة له تبلغ أبياتها مائة وأربعين بيتا مطلعها:

" تفهم ما حييت هديت قيلى تنال بفهمه خيرا كثيرا" (1)

وفيهـــا يسخط من الدنيا ، ويـرى الخير في العزلة وايثار العلم على الجهل ، وصاحبة الأتقياء الصالحين ، ومن هذه القصيدة قوله:

" أرى الدنيا تغيرها الليالـــي وأيامـــا مؤلفة شهـــورا

أرى يوما يجيء بكل خيـــر ويوما بالحوادث مستطيـرا

وكم ملك عظيم ذي اختيـــال أعد خزائنا وبنى قصـــورا

وكان مداه ذا خطر عظيـــم فصار مؤجلا أجلا قصيـــرا

وأضجع في التراب بلا مهاد بضيق اللحد منجدلا عفيـــرا " (2)

ينظـــر أحمد بن سليمان إلى الدنيا بعين الزاهد الحكيم المبصر، الذي خبر الدنيا وتقلبها من حال إلى حال، فهاهم الملوك وقد امتلأت خزائنهم بالأموال وبنوا من القصور ما شاءوا واعتلوا رقاب الناس قد انتهى أجلهم ، ووضعـــوا في ضيـــق اللحـــود.

<u>رابعا: شعر الهجاء:</u>

وهو من أكثر الأغراض الشعرية العربية شيوعا، بل عدّ الهجاء أوّل الأغراض الشعرية ظهورا " ذلك أن العرب في أول عهدهـــا بـــالشعر استدعتـــه للذّب عن أعراضهـــا ، وابتكرته لدفع المظالم عنها ، من خلال هجو الأعداء ، وكان الهجاء عند الجاهليـــن نـــوعين: هجاء قبليا ، وهو الأشهـــر والأكثر ، وهجاء شخصيا فـــي الأقـــل " (3)

والهجـــاء هو ذلك الفن الشعـــري الغنائي الصادر عن " عاطفة السخط والبغض وعدم الارتياح ، واتخذ النهشلـــي منه موقفـــا واضحـــا ؛ حيث صنف هـــذا الغرض في الشعر الذي هو شر كلّه " (4)

1-طه علي خليفة الحجازي: أدب القيروان في عهد الأغالبة والفاطميين،ص60
2-المرجع نفسه،ص60
3-عمر فرّوخ: تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) ، ج1، دار العلم للملايين ، بيروت، ط4، سنة1981،ص14
4-قحطان رشيد التميمي: اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، دار المسيرة، بيروت، سنة1990،ص202

وفي القرن الثالث ، انقسم الهجاءون إلى قسمين: قسم كان اللسان الناطق للدولة يدافع عنها ، ويقف في وجه أعدائهـــا ، لإرضاء الخلفاء، أما القسم الآخر، فكان المعبر عن موقف الناس الرافض لسياسة الخلفاء و الأمـــراء، فكان شعـــرهم بمثابـــة سجل نتلمس فيه أحـــوال العصـــر.(1)

ومن أهـــم شعـــراء القســـم الأول ابـــن هانـــئ في قصيدة هجائية عرض فيها للوهرانـــي كاتب الأمير جعفر، وكان أسلوبه الهجائي فيها أسلوب التحقير ، والتجرد من صفات المروءة والعقل ، ثم أسلوب الاستعلاء والـــوقوف إلـــى جانب المعـــز الدين الله للدفـــاع عنه والتصدي لخصومه:

" إن أيـــام دهرنا سخفـــات فهـــي أعوان كلّ وغد سخيف

إنّ دهرا سموت فيه علـــوّا لوضيع الخطوب وغد الصّروف

نلت ما نلت لا بعقل رصين في المساعي ولا برأي حصيـف

أنت في دولة الحبيب إلينـا فترفّـــق بـــــالماجد الغطريف

فإذا مـــا نعبت ســـرّ مغيب فعلـــــى غير ربعه المـــألوف

يا معزّ الهدى كفاني أنّـــي لك طـــود على أعاديك مـوف

وإذا ما كواكب الحرب شبّت لم أكن للرّمـــاح غيـــر رديف " (2)

خامسا: شعر الرثاء:

وقد أخذ هو الآخر مكانة وسط الإبداع الشعري المغربي، لما اقتضت الحاجة لوجوده، وهو يعني: " تعداد مناقب الميت وإظهار التفجع والتلهف عليه " (3) ومن نماذج هذا الغرض في البيئة المغربيـــة ، فقد جاء في اتجاهـــين اثنين:

1-ينظر:طه علي خليفة الحجازي: أدب القيروان في عهد الأغالبة و الفاطميين،ص65
2-حنا الفاخوري: تاريخ الأدب في المغرب العربي،ص65
3-عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) ، ج1،ص96

***<u>رثاء الأشخاص:</u> قال بكر بن حماد يرثي ابنه عبد الرحمن :**

" بكيـــت على الأحبة إذ تولـوا ولو أنـــي هلكت بكوا عليـــا

فيـــا سكنى بقاؤك كان ذخـرا وفقـدك قـد كوى الأكباد كيـا

كفـــى حزنا بأني منك خلـــــو وأنـــك ميـت وبقيـــت حيـــا

ولـــم أكن آيســـا فيئست لمـــا رميت الترب فوقك من يديـا

فليت الخلـــق إذ خلقوا أطاعوا وليتـــك لم تكن يـــا بكر شيـــا "(1)

فالأبيات تمتاز بالعاطفة الصادقة، يبكي فيها بكر بن حماد الأحبة ، الذين رحلوا عنه، الذين لو هلك هو لبكـــوا عليه وتـــرحموا ، فقد كان إبنـــــه مبعث السكينة والهدوء ، أما وقد فقد كوى كبده لوعة وحسرة عليه، وأصابه اليأس والقنوط بعد دفنه بيديه، ويتمنى الشاعر أنه لم يخلق أو أن يكون عدما خير له من أن يشقـــى ويتـــعب فـــي هذه الدنيـــا.

1-طه علي خليفة الحجازي:أدب القيروان في عهد الأغالبة والفاطميين،ص72

***رثـــاء المـــدن:**

قـــال الحصـــري راثيا مدينة القيروان:

" موت الكرام حياة في مواطنهم فإن هم اغتربوا ماتوا وما ماتـوا

يا أهل ودّي لا والله ما انتكثت عندي عهـود ولا ضاقت مودّات

لئن بعدتـــم وحال البحر دونكم لبين أرواحنـــا في النّوم زورات

ما نمت إلا لكي ألقى خيالكـــم وأين من نازح الأوطان نومـــات " (1)

إنه تفجر وجداني ومعاناة مأساوية، شديدة الأثر حتى كأنك في نفس الشاعر تشترك في معاناته، وتـــأسى لأساه، فالشاعـــر متشوق من وراء البحـــار إلى الأهل والديار، وأصبحت حياته الماضية ذكريات وأحلام لوعة وأحلام حنيـــن في وجود خـــال من الأنيس والمعيـــن.

سادسا: شعرالغزل:

غرض الغـــزل: " هو الشعر الذي يتحدث عن الحب، مخاطبا الحبيبة حينا، ومتحدثا عنها حينا آخر، واصفا لهـــا حينا، وواصفـــا لديارهـــا وكل ما يتصل بهـــا حينـــا آخـــر ، شارحا الهوى حينا، وفعل الهوى به حينـــا آخر"(2)وهـــو معـــروف فـــي الشعر العربي بنوعيه: العذري والماجن أو الصريح.وقد شاع هذا الغرض فـــي المغـــرب ، مثلما شـــاع فـــي المشرق .

يقول ابن الآبار:

" وحمامة ناحت فنحت إزاءها فلو استمعت لقلت : هذا المأتم

أبكي وتبكي غير أني معرب عمـــا أكنّ من الغـــرام وتعجم

وأردّد الزّفرات أثناء البكـــا وتظـــل فـــوق أراكهـــا تترنم

فإذا أصاخ لشدوها وتأوّهي واع يقـــول: خليـــة ومتيّـــم "(3)

1-حنا الفاخوري: تاريخ الأدب في المغرب العربي،ص136

2-أحمد أحمد بدوي: أسس النقد الأدبي عند العرب، مطبعة الرسالة،مصر، ط1،سنة 1985،ص129

يجسد الشاعر في هذه الأبيات، تلك المعاني القديمة التي عانى منها شعراء الغزل ، وكيف عالجوا الهجر والغـــرام والصـــد ، فيقـــول:

" صبرت إلى أن أومأت بسلامها فلما استقل الرّكب أسلمني الصبر

ومن أين أو كيف التجلّد للنوى ومدّ الأسى في القلب ليس جزر

حياتـــي هجر كلهـــا وقطيعـــة أما آن أن تفنى القطيعة والهجر؟" (1)

وقد طغى حبيب ابن آبار فبعد وبعدت داره، ويأمل أن يزول البعاد ويعود القرب الذي كان ، وفي كلمات يائسة يستسلم الشاعر لقدره ولهجره الذي لا لقاء بعده.

1-طه علي خليفة الحجازي: أدب القيروان في عهد الأغالبة والفاطميين،ص77

ويقول حازم القرطاجني:

" يا ظبية الربرب الحالي سوالفه من قلد الحلي آراما وغزلانا

ويـــا شقيقة بـــدر التّم لو أمنت كما أمنت بدور التّم نقصانـــا

حاشا للحظك أن يعزى إلى رشأ إذا تلفت نحو السّرب وسنانـا

ولإبتسامـــك أن يعزى إلى زهـــر إذ غـــدا بسقيـــط الطّـــل ريانا

ليت العيون التي ترنو فتسحرنا كانت كما نحن نهواهن تهوانا "(1)

إن حازما يرى محبوبته جميلة كالرئم ، حسنها أصيل كحسن الغزلان ، وأن جمالها لا يماثله شيء ، فهي فـــوق كل جميل ، ثـــم يصف أثر المحبين ، فيقول : ليت عيون الحبيب التي سحرتنا و أحببناها تبادلنا الحب والهـــوى كمـــا نحن نهواهـــا.

سابعا: شعر العتاب والشكوى:

وهذا موضوع آخر شغل حيزا من أشعار المغاربة، قال علي بن أبي الرجال معاتبا:

" وإني لأطرى كل خل صحبتـــه وأنت ترى شتمي بغير حيـــاء

ستعلم يوما ما أسأت لصاحب تكـــرم أخلاقي وحسن وفائـــي "(2)

أمـــا في الشكـــوى فالنماذج متنوعة نجدها إما في مقطوعـــات، أو في أبيات منفردة، أو تتخلـــل بعض القصائـــد، ومن نمـــاذج هذا الغـــرض:

يقول عيسى بن مسكين يشكو حاله بعد كبر سنه:

" لمـــا كبرت أتتنـــي كل داهيـــة وكـــل ما كان منـــي زائدا نقصـــا

أصافح الأرض إن رمت القيام وإن مشيت تصحبني ذات اليمين عصا "(3)

1-محمد الحبيب بن الخوجة: أبو الحسن حازم القرطاجني(قصائد ومقطوعات)، الدار التونسية للنشر، تونس،سنة1972،ص105

2-أبو الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ج2،ص114

3-العربي دحو: الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمارات الإغليبية والرستمية والإدريسية،ص55

ثامنا: شعر الفخر:

وهو من أكثـــر الأغراض الشعرية العربية شيوعا، فالفخر هو إثبـات الذات ، ومن نماذج هذا الغرض قول ابن أبـــي الرجـــال * مفتخـــرا بنفســـه:

" وجدت طريق البأس أسهل مسلكا وأحرى بنجح من طريق المطامع

فلست بمطـــر ما حييت أخا ندى ولا أنا في عرض البخيل بواقـع "(1)

وقال مفتخرا بآل شيبان:

" يـــا آل شيبان لا غارت نجومكم ولا خبت نـــاركم من بعد توقيـــد

أنتم دعائم هذا الملك مذ ركضت قبـــل الخيـــول لإبـــرام وتوكيـــد

المنعمـــون إذا ما أزمـــة أزمت والواهبـــون عتيقـــات المزاويد

سيوفكم أفقدت كسرى مرازبـــه في يوم ذي قار إذ جاؤوا لموعود "(2)

تاسعا: المولديات في المغرب العربي:

وهو ذلك الشعـــر الذي اقترن بمناسبة المـــولد النبـــوي الشريف، فخلد ذكـــراها، وعظّم شأن صاحبها محمـــد صلـــى الله عليـــه وسلم.إن ظاهرة الإحتفال بـــالمولد النبوي في المغرب " قد سنت من قبل كبير العزفيين أبي القاســـم العزفي الذي كان يـــرأس مقاطعة سبتة"(3).ثم أخذت هذه الظاهرة تنتشر حتى تخطت هذه المقاطعة ، لتدخل مـــراكش زمن الخليفة الموحدي (أبي حفص عمر) ، الذي استجاب لدعوة العزفي في القيام بشعائر هذه المناسبـــة، حيث يقـــع فيهـــا الإشادة والتباري في الشعر وفي الصلاة على النبي الكريم ، ومسبحين بحمد الله وشكره ، وممعنين فـــي ذكر خصال النبي لنقل هذه القيم إلى الناس ليتخذوها قيما سلوكية ، فكانت هذه القصائد المولديـــة بمثابة الدرس الموجـــه للناس المنقذ لهم من الضلال والجهـــل بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعرفـــة جوهر هذه الرسالـــة وما جاءت به من خير ونفع للبشريـــة.(4)

***شاعر وأديب من أدباء القيروان أيام المعز ، قيل أنه توفي سنة 426**

1-أبو الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ج1،ص47

2-المصدر نفسه،ج2،ص95

3-محمد زلاقي: بناء القصيدة المولدية في المغرب الإسلامي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر،سنة2013،ص30

4-ينظر: المرجع نفسه،ص33

وقد شاع هذا اللـــون في مناطق مختلفة من المغرب ، يرددونه في كل مناسبة دينية أو وطنية ، يرتله الكبار والصغار احتفـــاء بمولد خير الأنـــــام ، كقصيدة الشقراطسي الذي أنشد قصيدته أمام قبر النبي صلى الله عليه وسلـــم في المدينـــة المنـــورة يقـــول فيهـــا:

" الحمد لله منّا باعث الرسل هـــدى بأحمد منـــّا أحمد السبل"(1)

وفي هذا المضمار ،يقول حازم القرطاجني:

" قف بين قبر محمد والمنبـــر وقل السلام على السراج الأنـــور

والثـــــم ثرى قبر النبي محمد وبـــذلك العفـــر الأسـرّ عفّـــر

واحمـــل تحية حازم بن محمد لمقامـــه الأعلى الشريف الأكبـــر

وقل السلام عليك يا خير الورى من عبدك الأدنى الضعيف الأصغر"(2)

1-محمد زلاقي: بناء القصيدة المولدية في المغرب الإسلامي،ص35
2-محمد الحبيب بن الخوجة: أبو الحسن حازم القرطاجني (قصائد ومقطوعات)،ص108

***النثر المغربي القديم:**

ســـار النثر في فترة الولاة إلى جانب الشعر، وإن كان هذا الأخير سبقه في الظهور، لكنه خطا نفس خطواته وتشابـــه معـــه فـــي جوانب كثيرة، إذ كـــان يعبر عن العواطف والتجارب، وكان يتفرع إلى فروعه التقليدية المعروفة في العصر الجاهلي، وصدر الإســـلام من خطب ووصايا ورسائل صغيرة،أو حكم ومواعظ ، أما النثر التأليفي الذي يحتوي العلوم والمعارف الإنسانيـــة والمؤلفات الضخمة ، فإن المغرب العربي لم يعرف هذا اللون من النثـــر، لأنه يحتـــاج إلى حصيلة ثقافية عالية، وفكر راق، لم تكن المغرب قد تهيأت له، حتى جاء عصر الأغالبـــة ، فكثرت المؤلفـــات في جميـــع مناحي العلـــوم والمعـــارف.(1)

والمعروف أن المغرب اندفع نحو تقليد المشرق في شتى مجالات الحياة، حتى النثر، فسنرى أنه تأثر بالنثر المشرقي ، وهذا لايعني تبعية النثر المغربي للنثر المشرقي ، تبعية من لا شخصية له ، فإن أحدا لا يستطيع أن ينكر ذلك التأثير ، لكن لكل إقليم صفات تميز أدبه عن باقي الأقاليم.

***فنونه:**

أ-الخطابة:

فقد عدهـــا الدارسون أهم الفنون النثرية، باعتبارها أقدم فن نثري عرفه العرب، لتحتل بذلك مكانة خاصة في نفـوس العرب، ولا سيما عند علماء الكلام، وقد تعددت دواعي الخطابة في المغرب العربي ، ولا سيّمـا في عصوره الأولى ، يوم احتاج إليها القادة والرؤساء لبث الحماسة في صدور المحاربين ، وللدعـــوة إلى السلم وحقن الدم ، فألفيناها تتنوع بتنوع المناسبة التي دعت إليها ، فوجدنا الخطب السياسية والدينية والإجتماعيـة.

-الخطبة السياسية:

وهـــو فن يتجه إلى مخاطبة الجماهيـــر، وإثارة مشاعرهم ، وتلهب الحماس في نفوسهم ، وتدفع إلى لقاء الموت ، وبهـا يسيطر الخطباء على مستمعيهم ، ومن أمثلة الخطب السياسية، تلك التي ألقاها المعز الدين الله، وقد أعد جوهر الجيش لفتح مصر، فانضمت الكتائب تحت لوائه ، فقال المعز: " والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصـــر، ولتدخلن مصـــر بالأردية من غير حرب، ولتنزلن خرابات ابن طولون ، وتبنى مدينة تقهر الدنيا "(2)ففيهـــا يبث المعـــز الحماس في قـلوب جنوده ، حينما يصور لهم سهولة فتح مصر وتوكيد أفعالـه باللام والنـــون ، ومن قبلها القســم بالله سبحانه تدل على ثقته بجيشه القوى ، ودليل على ما وصلت إليه مصر من انهيـــار بعد ابن طولـون، وسرعـــان ما تحققت نبوءة المعز ، إذ ملك جوهر مصر ، وبنـى القاهـرة.

1-ينظر:طه علي خليفة الحجازي: أدب القيروان في عهد الأغالبة والفاطميين،ص129

2-المرجع نفسه،ص141

ومن أمثلتها كذلك خطبـــة إبـــراهيم بن الأغلب يقـــول فيها:" أيها الناس اذكروا ما كنتم فيه من النصر ، وتتابـع هفوان البلايـــا، إذ الدولـــة عليكم لا لكـــم واستغرق قلوبكم خشية الاتباع ، لا تطمعون في إنصاف ، ولا تجـــاوز همتكـــم الكفاف، حتى عضتكم الفتن بأنيابهـــا ، ووطئتكم بأقدامها ، وصيرتكم لا تنتصرون من عدوكـــم إلا الدعاء، في كل يوم دولـــة تشق وعصبية تحرق، ولا يتغير صاحب ذي خلاف ، فقد عادت عليكم دولتكـــم يـــأمن بها خوفكـــم، ويعـــز بهـــا ذلكـــم ، ثم قـــال:

لو كنت لاقى تماما لسار بـــه ضرب يفرق بين الروح والجسد
لكنه حين سام الموت يقدمني ولى فرارا وخلى لي عن البلـــد
إن يستقم نعف عما كان قدمه وإن يعـد بعدهـــــا في غيه نعد"(1)

يسيطـــــر على الخطبة الأسلوب العربي الفصيح الذي يميـــل إلى البداوة والبساطـــة وعدم التكلف ، دون الإهتمـــام بـــالمقدمة، وفيها يحذر الناس من الخروج على دولة بني العباس ، ويخوفهم إثارة الفتن ، مصورا الفتـــن بحيوان ، له أنيـــاب يعض بها، وأقدام يطأ بها الذي يثيره ، وهو تشبيه جميل وتصوير مخيف، ثم بثّ الطمأنينـــة في قلوب أهـــل القيروان ، بإرجاعهم لدولتهم وإرجاع دولتهم لهم، ليأمن خوفهم ، ثم يختم خطبته ببعض الأبيـــات الشعريـــة التي تحمـــل فـــي طياتهـــا فخـــرا ووعيـــدا.

1-حنا الفاخوري: تاريخ الأدب في المغرب العربي،ص92

***الخطبة الدينية:**

يعتمد هذا اللون من الخطابة على تعاليم الدين الإسلامي، وهي تشمل خطب المنابر التي تلقى في المناسبات كالأعيـاد وخطب الاستسقاء وغيرها، " وفيها يتكئ الخطيب على كتاب الله سبحانه ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلـم ؛ لينهـل منهمـا ، وهي ذات مجـال واسع، لأن الدين الإسلامـي يشمل جميع مناحـي الحياة "(1)

وتزدهر الخطابة الدينية في عصور الحرية وإبداء الرأي ، فهي من أشرف وأنبل أنواع الخطابة، لأنها تركز علـى ذكر الآخرة ، والحسـاب والعقاب ، أو الجزاء والثواب ، وتدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحث علـى مكـارم الأخـلاق.

ومن أمثلـة هذا اللـــون تلك الخطبة التي أوردها عياض لإبن خارجة ، وقد انقطع المطر عن القيروان ، فلاذوا به ، فجمعهـم ، وخطب فيهـم خطبة طويلة أورد منهـا عياض جزءا يقول فيه: "أنت مولانا مالنا غيـرك ولا سواك ، بك نالوا الدرجات الرفيعة ، والمواهب العالية ، ولولاك ما نالوها ، وأنت ذو رحمة واسعة ، وأنت العالـم بأحوالنا ، وقبيح أعمالنا ، وما لنا غيرك ولا سواك ، وقد قامت آمالنا بك ، وقد جثونا بين يديك ، بهائمنـا جائعة ، وأرضنا سوداء يـابسة ، وقلوبنا خائفة ، وبيوتنا فارغة ، وسماؤك عامرة ، وخزائنك واسعة ، فاسقنا سقية نافعة تجدد الإيمان في قلوبنا ، ولا نبرح من بين يدي كريم حتى يسقينا ، ووسيلتنا إليك نبينـا الذي جعلتـه رحمة لنـا صلـى الله عليـه وسلـم"(2)

***الخطابة الإجتماعية:**

يختص هذا اللـون من الخطابـة بما يلقى في المحافل والمجـالس لغرض من الأغراض التي تتصل بالحياة الإجتماعيـة ، كالتهنئة والتعزية والتكريم والمفاخرة ، وغالبا ما تتجه الخطابة الإجتماعية إلى الناحية الخلقية ، وإلـى نشر الفضيلـة والسجايـا الحميدة ، وصلـة الرحم ، وغير ذلك ، وأما أسلوبها فغالبا ما يكون مرسلا ولغتهـا سهلة يسيرة. ومن أمثلة ذلك خطبة المعز الدين الله يقول فيها: " يا إخواننا أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد فقلت لأم الأمراء، وإنها الآن بحيث تسمع كلامي: أترى إخواننا يظنون أنا في مثل هذا اليوم نأكل ونشـرب، ونتقلب في المثقـل والديباج والحريـر والفنك والسمور والمسك والخمر والغناء ، كما يفعل أرباب الدنيا ؟ ثم رأيت أن أنفذ إليكم فأحضركم ؛ لتشاهدوا حالي إذا خلوت دونكم ، واحتجبت عنكم ، وإني لا أفضلكـم فـي أحوالكم إلا فيمـا لا بد لي منه من دنياكم، وبما خصني الله به من إمامتكم ، وإني مشغول بشيء من ملاذ الدنيا إلا ما صان أرواحكـم ، وعمر بلادكم ، وأذل أعدائكم وقمع أضدادكم، فافعلوا يا شيوخ في خلوتكم مثل ما أفعله، ولا تظهروا التكبر والتجبر فينزع الله النعمة عنكم، وينقلها إلى غيركم، وتحننوا على من ورائكم ممن لا يصـل إلـي، كتحنني عليكـم ؛ ليتصـل في النـاس الجميل، ويكثر الخير وينتشر العدل؛ وأقبلوا بعدها على نسائكـم، وألـزموا الواحدة تكون لكم، ولا تشرهـوا إلى التكثر منهن والرغبة فيهن، فيتنغص عيشكم، وتعود المضـرة عليكـم"(3)

يبـدأ المعـز خطبته بكلمة (يـا إخواننا) وفيها من إظهار الحب والود والتلطف والتودد ، واستمالة القلوب ، فهـو يكشف عن حاله لوجهاء قومه، وأنه لا يحفل بالدنيا ، ولا ينشغل منها بشيء سوى ما يخطه بنفسه من كتب يجيب بهـا عن المرسلين، ثـم يطلب منهـم أن يفعلـوا فعلـه، وينزعـوا مـا فـي قلوبهـم من التكبر والتجبـر، ويتحننوا على من ورائهـم ممن لا يصل إلى المعز نفسه، ليتصل في الناس الخير والعدل، ثم أسدى لهـم عدة نصائـح ترتبط بحياتهـم الأسريـة والإجتماعيـة ، كـالتزام الواحدة ، وعـدم التكثر من النساء أو الـرغبة فيهـن.

1-طه علي خليفة الحجازي:أدب القيروان في عهد الأغالبة والفاطميين،ص131
2-المرجع نفسه،ص133
3-المرجع نفسه،ص143

ب-الـــرسائل:

لقـــد بلغ هذا النوع بين باقي الأنواع النثرية شأنا كبيرا لدى نفوس المغاربة وخاصة الأدباء منهم، وذلك ما عكستـــه لنا النصوص الترسلية التي وجدت مبثوثة في المضامين سواء كانت ديوانية أم إخوانية.

***الرسائل الديوانية:**

الرسائل الديوانية ، وتسمى الرسائل السلطانية " وهي الرسائل الأدبية الصادرة عن الحكام والسلاطين ، أو عن دواويـــن إنشائهـــم إلى الذين يضارعونهـــم في المنزلة أو شارة الحكم "(1)،وعن أهميتها قيل: " تكسب الرسائل الديوانية أهميتها وخطورتها بوصفها لسان حال الدولة وعليها يعتمد ترتيبها وتسيير أمورهـا، وتحديد علاقاتهـــا مع الدول الأخرى وعليها تعتمد وتستند إليها أركانها ، فهي قوام الملك وضبط قواعده"(2) فـإن لها من المكانـــة مـــا يجعل صاحبهـا أحرص الناس عليها.وكغيرها من الأنواع الأدبية فهي تتميز عن باقي الأنواع وذلك " في بسط الكـلام وهو يتناول التهنئات بالنصر وتقليد الوظائف ومكاتبات العمال والملوك و الأمراء وما إلـــى ذلك "(3)ومـــن نمـــاذج هـــذا النـــوع الأدبـــي:

رسالة ليوسف بن تاشفين (465هـ-500هـ) ردا على الكتاب الذي جاءه من ملوك الأندلس وعلى رأسهم المعتمـــد بن عبـــاد: " فلما جاءه الكتاب مع تحف وهدايا ، وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف اللسان العربي، ولكنـــه كان يجيد فهـــم المقـاصد ، وكان له كاتب له كاتب يعـرف اللغتين العربية والمرابطية، فكتب الكاتب:" بسم الله الرحمن الرحيم ، من يوسف بن تاشفين ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، تحية من سالمكم ، وسلم إليكم، وحكمه التأييد والنصر فيما حكم عليكم، وإنكم مما بأيديكم من الملك في أوسع إباحة، مخصوصون منا بأكرم إيثار وسماحة، فاستديموا وفاءنا بوفائكم، واستصلحوا إخاءنـــا بإصلاح إخائكم،والله ولي التوفيق لنا ولكـــم والســـلام "(4)

1-محمد مسعود جبران: فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين إبن الخطيب(المضامين والخصائص الأسلوبية)،المجلد الأول،دار المدار الثقافية،الجزائر،ط1،سنة2009،ص103
2-عبد الحميد حسين الهروط : النثر الفني عند لسان الدين بن خطيب،دار جرير للنشر والتوزيع،الأردن،ط1،سنة2006،ص43
3-محمد مسعود جبران: فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين إبن الخطيب(المضامين والخصائص الأسلوبية)،الجلد الأول،ص104
4-إبن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تح: إحسان عباس،ج4،دار الثقافة، بيروت،ط2،سنة2006،ص113

***الرسائل الإخوانية:**

الرسائـــل الإخوانية أو الأهلية، وتسمى كذلك الرسائل الوجدانية ، و" يقصد بها الرسائل الأدبية التي يدبجها المبدعون إلى أهلهم ، أو من يماثلهم في المنزلة من الإخوان والنظراء في غرض من الأغراض الإجتماعية أو الثقافيـــة في مجلـــى فنـــي متميـــز يجلو عواطفهم وأحاسيسهم " (1) وهي كثيرة الأغراض متعددة المواضيـــع ، فمنها ما تنـــاول : التهنئة ، التعزية ، الإعتذار، الشكوى، وقد تفنن كتاب المغرب في تحبير كثير من الرسائـــل الإخوانية وتنافسوا في تدبيجها، وقيل عن هذا النوع من النثر أنه " يندرج فن التراسل ضمن دائرة التعبير عن الذات وتبليغ ما في النفس الباطنة إلى متلق غير حاضر إلا في الذهن "(2)

ومن نماذج هذا النوع الأدبي ، رسالة لأبي الحسن علي بن عبد الغني الفهري الضرير الحصري: " السلام عليك أيهـــا القلب الثانـــي ، والبعيد الداني ، الراقي في سماء المعالي ، الراقي من داء الليالي ، أول ما عددت ، وأفضـــل من أعددت ، ومن لا زال النسيـــم في البكر والعشيات ، يهدي إليه طيب التحيات ، ومن جعلت وقاءه ولا عدمت لقـــاءه، فإذا كـــان الكريم سالمـــا ، كان الزمـــان مسالمـــا " (3)

ج-المقـــامـــات:

المقامـــة فن من الفنون النثرية المتميزة بمحتواها وإطارها، استحدث في القرن الرابع الهجري على يد إبن دريـــد ثـــم تأصل على يد بديـــع الزمـــان الهمذانـــي وتلميـــذه أبي القاســـم محمد الحريـــري.

والمقامـــة في المدلـــول اللغـــوي لها معان متعددة منها : " المجلس تغشـــاه الجماعة والسادة ، وتقيم فيه للحديث والسمـــر ، وتناقل الأخبـــار . ولهذا المدلول إرتباط وثيق بالمفهوم الإصطلاحي للمقامة الذي يعني إيراد الحكايـــة لغرض من الأغراض يرويهـــا الراوية على لسان بطل في قالب نثري يحفل بالصنعة اللفظية والعناية بالإسجـــاع "(4) فهي قصة مسجوعة تتضمن عظة أو ملحة أو نادرة ، كان الأدباء يتبارون في كتابتها إظهارا لما يمتازون به من براعة لغوية وأدبية.

ومـــن نماذج هذا النـــوع النثري مقامة لإبن شرف جاء فيهـــا: " جاريت أبا الريـــان في ذكر أهل النظّام ، ومنـــازلهم في الجاهليـــة والإسلام ، فقال عدد من الشعراء أكثر من الإحصاء ، وأشعارهم أبعد من شقـــة الاستقصـــاء، قلت: لا أعنتك بـــأكثر من المشهوريـــن مثل الضليل والقتيل ، ولبيد وعبيد ، والنوابغ والغني والأســـود بن يعفر ومن سواه من العمـــي ، وابن الصمـــة دريد ، والراعي عبيد ، وزيد الخيل ، وعامر بن الطفيل والفرزدق وجرير ، وجميـــل وكثير ، وابن جندل وابن مقبـــل ، وجرول والأخطل ، وحسان في أهاجيه ومدحه، وغيلان في ميته، وصيدحـــه، والهذلي أبي ذؤيب ، وسحيم ونـــصيب، وابن حلزة الوائلي، وابن الرقاع العاملي، وعنترة العبسي، وزهيـــر العـــري، وشعـــراء فـــزارة ، وشعـــراء تغلب ويثرب وأمثـــال هذا النمط الأوسط ، كالـــرماح والطمـــاح والطثـــري..."(5)

نلمس معارضـــة ابن شرف لمقامات بديع الزمان الهمذاني ، وما جاء به في هذه المقامة أخبار الأدباء وذكر الشعـــر والشعـــراء شكلا، لكن مضمونـــا كان المحتوى أدبيـــا نقديـــا .

1-محمد مسعود جبران:فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين إبن الخطيب(المضامين والخصائص الأسلوبية)، المجلد الأول،ص203

2-عبد المالك مرتاض: الأدب الجزائري القديم، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، سنة 2005،ص91

3-المرجع نفسه،ص96

4-عبد الحميد حسين الهروط: النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب،ص55

5-حنا الفاخوري: تاريخ الأدب في المغرب العربي،ص122

أ-روافد النقد المغربي القديم:

عرفت العلاقـات الثقافية والتبادل العلمي نموا طيلة الحكم الإسلامي وعلى مدى قرون عديدة بين المشرق والمغرب، وهـذا مـا تـؤكده الصلات بين العلماء والفقهاء والشعراء والمحدثين، فقد كانت كل من البصرة والكوفـة وبـغداد و القيروان ، تيهرت وفاس وتلمسان ، مراكز الإشعاع العلمي والثقافي، كما جاء التواصل العلمي والثقافي بين المغرب والمشرق الإسلامي عن طريق أعلام اختاروا عن طواعية نشر العلم في جزء أو فـي أجـزاء من المغـرب الإسلامـي ، وهم خير مثال للتبادل العلمي، الذي جاء عن طريق سفرياتهم ، إما للإستفـادة والمناظـرة وإما للتدريس في المساجد أو نسخ بعض المخطوطات، وكان المرتحلون من المغرب إلـى المشرق سواء للحج أو لطلب العلم أو التجارة ، يتبعون دروبـا ومسالكا برية ، كانت توصلهم إلى مصر ومدنهـا، تأتي مصـر في الدرجة الثانيـة بعد المدينة المنورة من حيث كثافة الصلة وعمق أثرها بينها وبين القيـروان، وذلك في عـهـد مالك وتلاميذه ، أما بعد فقد زادت تلك الصلة متانة.لقد ساعد موقع مصر الجغرافي على توطيد علاقاتها الثقافية مع بلدان هذا البحر وخصوصا بلاد المغرب، حيث كانت الإسكندرية باب المغرب، وتتوسط بين المشرق والمغرب الإسلامي على حد قول المصادر الجغرافية، وأخذ المشارقة يأخذون العلم من المغاربـة في إطار تبادل ثقافي ميزه وجود عدة علماء وطلبة من عدة أقطار إسلامية في مكان واحد،مما سهل عمليـة الأخـذ والعطاء العلمي والثقافـي، واطلاع كل شخص على المستجدات العلميـة الحاصلة في بقاع العالـم الإسلامـي.(1)

❀<u>الـــرحلات:</u>

لقـد كانت حركـة التنقل والترحال نشيطة في بلاد المغرب الإسلامي، وذلك بين الأقاليم الثلاثة:المشرق، المغرب،وكـذا بلاد الأندلس، وقـد هيـأ لهذا النـشاط الرحلي مجموعة من الأسباب والظروف ، نذكر منها:

-"التنـافس القائـم بين الإمـارات والدويلات المغربية في تـفـعـيل الحركة العلمية والفكرية

-رغبـة المغاربـة في تحصيل العلوم المختلفة والتعرف على ما ألف من كتب وجلبها إلى الوطن العربي

-التشجيع والتحفيز الذي يقوم به الأمراء المغاربة ، وظهور حواضر ثقافية علمية جديدة كحاضرة تلمسان، وفاس،و القيروان ... كان له الأثر الإيجابي في تفعيل الحركة الفكرية والعلمية خاصة الأدبية."(2)

1-ينظر:كمال السيد مصطفى:دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس،مركز الاسكندرية للكتاب،الاسكندرية،سنة1997،ص121
2-المرجع نفسه:ص122

مفهوم الرحلة لغويا:

تكاد المعاجم اللغوية أن تتفق حول معنى الرحلة ، في أنها تعني الارتحال والانتقال من مكان لآخر، تتخذ الراحلـــة وسيلة لها ، وقد وردت في معجم لسان العرب بأن الرحلة من " رحل الرجل إذا سار ، ورجل رحول وقـــوم رحّل ... والارتحال: الانتقال والرّحلة بالضم: الوجه الذي تأخذ فيه وتريده؛ تقول أنتم رحلتي أي الذين أرتحـل إليهـــم"(1) وعليه نجد أن الرحلة تعني عملية الانتقال والارتحال من مكان محدد إلى وجهة مقصودة.

وإذا بحثنـا عن لفظة رحل في القرآن الكريم فإننا نجدها قد وردت مـرة واحدة، وذلك في قوله تعالى:" لإيلاف قـريش. إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا ربّ هذا البيت. الذي أطعمهم من جـــوع وآمنهم من خوف"* وفي هذا المقام ، نجد أن لفظة رحلة في السورة الكريمة هي إشارة إلى الرحلتين اللتين كان العرب يقومـــون بها شتـــاء وصيفـــا.

مفهـــوم الرحلـــة اصطلاحـــا:

بـأنها " الإنتقال من بلد إلى آخر من أجل الحصول على العلـوم والحديث أو من أجل أهداف أخرى ، وهي نـــوع من الحركة وهي أيضا مخالطـــة الناس والأقوام ، وتعتبر مصدر لوصف الثقافات الإنسانية."(2)

أسباب رحلة المغاربة إلى المشرق العربي:

انتشـــار الإسلام ودعوته للعلم: لقد كان اعتناق الإسلام في حد ذاته إلتزاما بالتعليم ، إذ لا دين لمن لا علم له، ثم إن المسلميـــن وجدوا الإسلام يدعو إلى العلم ويحث عليه ويرفع من شأنه، " ففي القرآن الكريم نجد أن كلمة العلم ومشتقاتهـا وردت 788مرة ، أما في الحديث فنجد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحث عل العلم ويقـــول: (من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار) والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، ولعل هذا الأمر كان من بين أقوى الأسباب التي دعت سكان المغرب العربي للبحث عن العلم أينما كان والترحال من أجل اكتسابـــه."(3)

1:ابن منظور:لسان العرب،ج11،مادة رحل،دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر،لبنان،ص276
***سورة قريش: من الآية1 إلى الآية 4**
2-محمد فهيم حسين:أدب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت،سنة 1989،ص15
3-صافية كساس:الرحلات العلمية من وإلى المغرب العربي ودورها في تنشيط الحركة العلمية والتعليمية بالمغرب العربي، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري(تيزي وزو) ، العدد:8،سنة2012،ص182و183

التعمق في معرفة الدين الإسلامي: لأنه كان لا بد لمن شهـــد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، أن يتعلـــم من القرآن ومن أحكـــام الديـــن ما يقيم به صلاته، ويؤدي به زكاته، ويصوم به ، ويحج إن استطاع ، ويقف عنـــد حدود الله أمـــرا ونهيا، " فهذا المهدي بن تومرت بعد عودته من الجولة التي قادته إلى المشرق العربـــي، انبرى يجدد معالم الدين ويعطي الإسلام مكانته ، بمحاربة الجهل ونبذ حياة العبث والمجون التي كان يعيشهـــا بعض القـــوم."(1)

حماية القرآن الكريم من اللحن: بعد تفشي اللحن وتأثر القرآن به كان لا بد من إيجاد وسيلة تحمي كتاب الله، ولغـــة القرآن من استفحال هذه الظاهرة، وذلك بتنقية اللغة العربية والمحافظة عليها، ولقد كان هذا دافعا مهما لهجرة ورحلـــة المغاربـــة إلى المشرق العربي لتعلم قواعد اللغة العربية التي درسوها عن اقتناع منهم وعن اختيار ، " وهكذا أصبـــح اللسان العربي الذي نزل به الذكر الحكيم من أهم جوامـع الأمة بعد العقيدة المحمدية ، وأداة التواصل الأولى داخل الأقطار المغاربية والمشرقية على حد سواء؛ كما يسجل التار؛ كما يسجل التاريخ أيضا بأن ملوك البربر أخذوا الإسلـــام عن قناعة ، وطبقوه على الواقع ، فهذا يـــوسف بن تاشفين الأمازيغي ، والآخر المهـــدي بن تومرت ، وغيرهم من الأمازيغ الحكام والأمراء ، حكموا شمال إفريقيا لا يتقنون العربية ، ومع ذلك عملـــوا على تعلمهـــا ، وتعليمهـــا ونشرهـــا، وإقرارهـــا لغـــة رسميـــة."(2)

تعلم علوم العربية: ولقد كان الاهتمام بالعلوم المختلفة وعلوم اللغة العربية خاصة واضحا، إذ كان مطلوبا من الطلبة أن يدرسوا النحو والصرف والشعر وحضور مجالس الأدب، " لا يغفر لهم إن هم ارتكبوا خطأ لغويا ، لذا كان الدارسون يرحلون إلى المشرق لاستكمال ما فاتهم من علوم بعد أن يستوفوا متطلبات الدرس الأولى بتعلم مبادئ العربية لبلد حديث العهد بالإسلام وباللغة العربية."(3)

رحلتهم وهجرتهم للدرس والتدريس ونيل الإجازات: ويشهد بذلك أن الجزائريـــن والمغاربة ، الذين حلوا فـــي رحاب الأزهـــر وغيره، كانوا قدوة في اللغة وإليهم المرجع في علومها، " فقد درسوا وأجازوا ، استمعوا ونفعـــوا ، دار عليهـــم خلق كثير، وسجلـوا مشاركات جيدة في علوم العربية ، سئلوا فأجابوا وكانت إجاباتهم مستحسنة ملخصة مهذبة، وكانت لهم نزاهة ووجاهة ونباهة، حيث إنهم ضربوا أكباد الإبـل إلى الأزهر يحلون شيوخـــا وأساتذة يفيء إليهم الطلبة والعلماء للاستمداد منهم ومنهم: ابن معطي الذي أصبح قطب أئمة عصره فـــي النحـــو والأدب ، ومدرســـا في دمشـــق ثم القاهـــرة."(4)

1-صافية كساس:الرحلات العلمية من وإلى المغرب العربي ودورها في تنشيط الحركة العلمية والتعليمية بالمغرب العربي،ص183

2-صافية كساس:نفس المقال،ص185

3-صافية كساس:نفس المقال،ص185

4-صافية كساس:نفس المقال،ص186و187

جلب الكتب: تأثرت الحركة اللغوية في المغـرب بعوامل أسهمت بشكل كبير في تطويرها ، خاصة الإجتهاد في نقل كل ما يصير من كتب ذات شأن في المشرق العربـي، حتى إن " عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي اشتـرى من البصرة في دفعة واحدة حمل أربعيـن بعيرا من الكتب، ابتيعت من البصـرة في مجرد دفعة واحدة ، ممـا ساعد على إثـراء العقول وحفز على نشاطها وإبداعها ، وقد أدى ذلك إلى إنشاء المكتبات وجمع الكتب فـي مختلف العلـوم."(1)

أداء مناسك الحج والعمرة: التي اقترنت معظمها بالعلم ، فكـان الحجاج يعودون وقد أدوا فرضهم ونهلوا من العلم، وتلقوا إجازات وكتبا، وقد كان هذا النمط من الرحلات " مصدر شهرة أبرز حواضر الثقافة في البلاد ، فقـد كانت مـدينة شنقيط مـثابة لحجيج يفـدون إليها وممن حولها مـن الحواضر والبوادي وينطلقون منها في ركب واحد إلى الديار المقدسة مرورا بالمغرب و تونس، ومصر والبحر الأحمر في الشمال ، فتكون لهم لقاءات بأعلامها مما خلد لهم ذكرا رفيعا في اغلبها."(2)

أهمية الرحلات من الناحية العلمية:

إن رغبة الرحالة المغاربة في أداء فريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة وارتياد مراكز العلم في المشرق بعد أن تجاوزوا سـن الطلب ، ووصـلوا إلى سـن تؤهلهم بمجالسة كبار العلماء للأخذ والعطـاء، وبهـذا أثريت الناحية العلمية بفضل هذا التبادل العلمي القائم على الالتقاء بكبار العلماء للأخذ والرواية عـنهم والحصول على إجازاتهم العلمية في المراكز التي وصلوا إليها والتي تعد ينابيع فياضة بالعلم والمعرفة." وبهـذا أصبح الرحالة رسل علم ومعرفة وحلقة اتصال وتبادل فكري وعـلمي بين الشرق والغرب، أتاح لأهل المغرب النهل من علوم المشرق عـلى أيدي هـؤلاء الرحالة الذين قـاموا بتدريس تلك العلوم وخاصة علوم الحديث وملحقاته لمواطنيهم إلى جانب ذكرهم للمدارس ومنشئيها وأماكنها والعلماء المتصدرين للتدريس فيها."(3)

لذا فكتب رحـلاتهـم فـي هـذه النـاحية تعد مـن أهم الكتب التي تشير بوضـوح للجانب الثقافـي والعلمي مع الكشف عـن الأصـول والمنـابع الـتي اسـتـقى الـرحـالـة علومهم منـها.وعلى ضوء ذلك تعد من أهم المصادر عن الحركة العلمية في الحجاز.

1-صافية كساس:الرحلات العلمية من وإلى المغرب العربي ودورها في تنشيط الحركة العلمية والتعليمية بالمغرب العربي،ص187
2-صافية كساس:نفس المقال،ص187
3-عواطف محمد يوسف نواب:الرحلات المغربية والأندلسية،مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض، سنة 1996،ص92

ومن أشهر الرحالة المغاربة: *ابن رشيد (657هـ-721هـ) رحالة من بلاد المغرب رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج ولقاء أهل العلم، وصف بالثقة والعدل ، كان عارفا بعلم القراءات والعربية وعلم البيان والآداب والعروض والقوافي ، كان عظيم الوقار والسكينة، وكانت له عناية بعلم الحديث وضبط أسانيده ورجاله ومعرفة انقطاعه واتصاله ، كما كان حافظا للأخبار والتواريخ.

وجميع صفاته هذه يشهد عليها كتابه المسمى (ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة)،التي قال عنها السيوطي إنها ست مجلدات مشتملة على فنون، بنما أشار القاضي والمقري إنها أربعة أسفار جمع فيها من الفوائد الحديثية والفرائد الأدبية كل غريبة وعجيبة.(1)

أما عن منهج الرحلة ، فنجد ابن رشيد قد اعتمد في رحلته على تضمين عديد المسائل المتعلقة بعلوم مختلفة مبينا القصد منها، حيث أننا نجد يشير مثلا إلى الهدف من إيراده الأشعار بمختلف أغراضه بقوله: " وأنا أبين قصدي بإيرادهم ذلك فأقول بما كان فهم الكتاب العزيز وكلام النبي صلى الله عليه وسلم متوقفا على فهم تفنن العرب في وجوه بلاغتها وفنون فصاحتها ولذلك قال عمر بن خطاب رضي الله عنه: عليكم بديوان العرب فإن فيه فهم كتابكم وشحذ ألبابكم.قالوا: وما ديوان العرب يا أمير المؤمنين ؟ قال: شعرها."(2)

1-ينظر:عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية،ص110و111
2-المرجع نفسه،ص117

***محمد العبدري رحالة من بلاد المغرب ، تلقى تعليمه بمراكش ، حفلت رحلة العبدري بتدوين مشاهداته والتي أظهرت دقته في تسجيل ملاحظاته ، إضافة إلى وجود الكثير من المباحث الفقهية والنحوية واللغوية الأدبية والأبيات الشعرية التي امتلأت بها رحلته.كان مهتما بالتاريخ وخاصة تراجم العلماء ، وكان صائبا في الحكم على بعض علماء عصره إصابة أثبت التاريخ صحتها في مدحه لهم وإعلاء شأنهم مثل: " ابن خميس شاعر تلمسان، والدباغ القيرواني صاحب كتاب معالم الإيمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان ، وابن دقيق العيد."(1)**

<u>سبب الرحلة:</u> فقد كانت لأداء فريضة الحج والعلم والتجارة،" ونلمس ذلك بوضوح في إشارته إلى أنه كان يحمل القمح لبيعه في مكة المكرمة دلالة على اشتغاله بالتجارة ."(2) وكان خروجه للرحلة في الخامس والعشرين من ذي القعدة من مدينة حاحة ، ولمنه لم يبدأ بتدوين رحلته إلا بتلمسان وأسماها بالرحلة المغربية.

***ابن جابر الوادي آشي (673هـ-749هـ) رحالة تونسي، يلقب بشمس الدين وهو من الألقاب المشرقية ، تلقى تعليمه على يد علماء تونس ، ومن ضمنهم والده الذي كان شيخا من شيوخ الإسلام في وقته.**

كانت تونس محط رحالة الذاهبين والعائدين ما بين المشرق الإسلامي وبلاد المغرب والأندلس. ومركزا يعج بالعلماء القادمين إليها للعلم والتدريس بها أو تولي بعض المناصب ذات الأهمية والتي يشغلها كبار العلماء.ولذا شهدت نشاطا علميا واسعا. وفي هذا الجو العلمي نشأ ابن جابر ، والتقى بالرحالة العلماء فاستفاد منهم ، فقرر شد الرحال إلى المشرق الإسلامي.

ولإبن جابر رحلتان ، ولقب بصاحب الرحلتين ، فرحلته الأولى سنة 720هـ والثانية سنة 734هـ ، وفي كلا الرحلتين حرص على السماع والرواية ، حتى غدا ذا مكانة علمية كبيرة دفعت العديد لتلقي العلم عنه.(3)

تندرج رحلته ضمن الرحلات العلمية لما اشتملت عليه من تراجم للشيوخ والكتب التي أخذها، فجعل رحلته من جزئين ، الأول يحتوي أسماء المشايخ وقسمه قسمين: اشتمل القسم الأول على ترجمة العلماء الذين لقيهم وأخذ عنهم مباشرة، وسار في هذا القسم على نمط واحد فو يورد في الترجمة الأوصاف ، ثم اللقب والكنية، والإسم والبلد المنتمي إليه العالم، وسنة الميلاد ، وذكر المناصب التي شغلها . أما القسم الثاني من الجزء الأول فقد أورد فيه شيوخه الذين أجازوه، حيث رتبهم حسب الحروف الأبجدية، وقد أفرد قسما خاصا للنساء في آخر القسم الثاني دون ترتيب.

أما الجزء الثاني فقد أفرده للكتب التي أخذها عن العلماء دون وصف لهذه الكتب ، وتب هذا الجزء حسب العلوم، فبدأ بالقرآن الكريم وعلومه، ثم الحديث وعلومه، ثم كتب التصوف واللغة والأدب، ويذكر اسم كتاب ومؤلفه وتحديد ما أخذه من الكتاب.(4)

1-عواطف محمد يوسف نواب:الرحلات المغربية والأندلسية،ص120
2-المرجع نفسه،ص118
3-ينظر:المرجع نفسه،ص124و125
4-ينظر: المرجع نفسه،ص127و128

❀الهجرة:

تعتبر الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الإسلامي خلال القرون الوسطى من الهجرات المهمة في تاريخ البشرية ، بدأت منذ ظهور الأندلس كقوة مسيطرة على المجال العلمي والمعرفي وذلك أيام بني أمية، وانتهت بسقوط غرناطة سنة 897هـ-1492م.

مفهوم الهجرة لغة:

قال ابن منظور: " الهجرة بالكسر والضم الخروج من أرض إلى أرض."(1) وذكر الزبيدي أيضا : " هجره يهجره هجرا بالفتح وهجرانا بالكسر : صرمه وقطعه. والهجر : ضد الوصل. هجر الشيء يهجره هجرا: تركه وأغفله و أعرض عنه."(2)

مفهوم الهجرة اصطلاحا:

هي الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام، لقوله تعالى: " إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنّا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها."(3)

تعريف الأندلس:

يطلق اسم (الأندلس) على الأجزاء التي فتحها المسلمون من شبه جزيرة (أيبيريا) أي (إسبانيا و البرتغال) ، الواقعة جنوب غربي أوروبا ، وأهمها: (المرية، غرناطة، وجيان ، قرطبة، ومالقة ، وقادش، ولبة ، وإشبيلية)

وتعود كلمة الأندلس في الأصل إلى (أندلوسيا) أي الأطراف الجنوبية من شبه جزيرة أيبيريا، التي أقام فيها (الوندال) وهم قبائل جرمانية، غزت المنطقة في القرن الخامس الميلادي، ولما فتح المسلمون هذه الأرض حولوا اسمها إلى الأندلس، واستعملوه حتى نهاية حكمهم.(4)

1-ابن منظور: لسان العرب، ج5 ، ص250
2-محمد مرتضى الحسني الزبيدي:تاج العروس من جواهر القاموس، تح:عبد الحليم الطحاوي، ج14، مطبعة حكومة الكويت، سنة1974،ص396
3-بن قدامة المقدسي: المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ج10،دار الفكر، بيروت،ط1، سنة 1984،ص505
4-ينظر: عبد العزيز شهبي: تاريخ المغرب الإسلامي،ص105

أسباب الهجرة الأندلسية:

كان استغلاب النصارى للجانب الأكبر من الأندلس الإسلامي ، قد دفع علماءه بصورة خاصة إلى مراكش وبلاد المشرق، حيث استقروا ومضوا ينشرون علومهم وذاع صيتهم، فبسقوط الخلافة الأموية سنة 422هـ 1031م ، وانقسامها إلى نحو عشرين دويلة صغيرة متنازعة ، عرفت ب(ملوك الطوائف) ، ونتج عن ذلك أن استقل كل أمير في ناحيته، وأعلن نفسه ملكا عليها ، وعمل على بسط نفوذه وسلطانه، فاصطدمت المصالح ، وظهرت الفتن وعمت الفوضى.

وبينما كانت الأندلس تعاني الضعف تحت حكم ملوك الطوائف ، كانت إسبانيا المسيحية في الشمال تعمل على توحيد قواها بمساندة فرنسا، ونجح ملك (قشتالة) ألفونسو السادس في احتلال (طليطلة) قاعدة المسلمين سنة 478هـ 1085م ، وسقطت معها رقعتها الشاسعة من مدن وقرى وضياع في قلب اسبانيا، فكانت كارثة كبرى على المسلمين ، وأخذ ألفونسو يحاصر المدن ، ويضرب ملوك الطوائف بعضهم ببعض ، ويغير على أراضيهم، ويطالبهم بالأموال، كي يضعفهم اقتصاديا وحربيا، وكادت أن تنهار بلاد الأندلس لولا تدخل المرابطين.

وانطلاقا من هذه الأحداث المفجعة ، قدم الأندلسيون إلى مراكش لاجئين بعدما أضاعوا بلادهم وخرجوا منكوبين من وطنهم ، ولقد شاهدوا كيف انتصر عليهم المسيحيين بفضل سياسة واعية هدفها استرجاع الوطن الصليب.(1)

تأثيرات هجرة الأندلسيين في المغرب الإسلامي:

في الجانب الثقافي:

حاولت هذه الفئة إبراز العلم الأندلسي ومدى اشعاعه على الساحة الفكرية بالمغرب العربي. وقد تفرع سلوك هذه الفئة إلى قسمين: فئة حاولت الارتزاق منه، وذلك عن طريق الدخول إلى بلاطات المغرب العربي أو عن طريق التعليم في المساجد والزوايا. وفئة أخرى عزفت عن ذلك ، واتجهت كلية إلى التفرع للتعليم وقد تطور ذلك إلى زهد وتصوف ، وذلك نتيجة التجربة المريرة التي اجتازوها في الأندلس ، والتي خلقت في أنفسهم اليأس والتشاؤم ، كما خلقت في أنفسهم كذلك قناعة مطلقة بألا جدوى من المقاومة.(2)

وقد اشتد ساعد هذه المؤثرات الأندلسية في عهد (علي بن يوسف بن تاشفين) ، فقد تتلمذ على الحضارة الجديدة، وأعجب بها وفهمها، وأمعن في استقدام الفنانين الأندلسيين، فانتشروا في البلاد، وبدأت مدن المغرب وأقاليمه وقراه تحفل بمؤسسات بلغت من الروعة والفخامة حدا بعيدا، وأصبحت مؤسسات فاس ومراكش و تلمسان تكاد تماثل مؤسسات قرطبة واشبيلية ،" وكان الفن في عهد المرابطين هو فن الأندلس في أرض مغربية."(3)

1-ينظر : عبد العزيز شهبي: تاريخ المغرب الإسلامي،ص109و110

2-ينظر:زروق محمد: دراسات في تاريخ المغرب، إفريقيا الشرق،الدار البيضاء، المغرب،سنة 1991،ص63

3-محمود حسن أحمد: قيام دولة المرابطين (صورة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى) ، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة1996،ص450

تـأثيـر الأنـدلسـيـون فـي الأدب:

علـم الـبيـان والـبـديـع:

لا ريب إن علمي المعاني والبيان من العلوم الرئيسية التي تعنى بها الثقافة المراكشية عناية خاصة في عهد دولة بني تاشفين ، الذي سعى إلى إنشاء وحدة فكرية بين المغرب والأندلس، بالأخص بين مراكش وقرطبة، حيث كان ديوانها بالحمراء يمثل وحدة أدبية وثيقة بين المغرب والأندلس،"تتجلى متانتها فيما أبدعه الكتاب من الرسائل البليغة ، والمراسيم البديعة والمقطوعات الرائعة التي تبدو في رشاقة أسلوبها الرقيق، مطبوعة بذلك الطابع الأندلسي الأخاذ الخاضع في جوهره للقوانين المرعية، في معارض التشبيه والكناية، وما إلى ذلك من معاني البديع التي تفرضها عادة صناعة الترسل على الكتاب والأدباء في تكوينهم العلمي من أحكام ملكة البيان وإنماء الذوق الأدبي."(1) وتألق في الفلسفة (نجم مالك بن وهيب) وزير (علي بن يوسف) و(أبي بكر بن باجة) المعروف ب(ابن الصائغ) الذي مزج مذهب الشك اليوناني بالفلسفة الإسلامية، كما اشتهر في ميدان الشعر العربي فحول القريض الذي تغنى بأمجاد المرابطين في قصائده وظهر في ميدان الشعر العامي المعبر عنه بالزجل ابن قزمان المشهور بأغانيه الزجلية.(2)

شعر الأزجال:

الأزجال جمع الزجل وهو في اللغة التطريب ، وسمى الأندلسيون الفن الشعري العامي المقابل للموشحة الزجل، قال ابن خلدون في مقدمته في هذا الشأن : " ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس ، وأخذ به الجمهور ، لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيها اعرابا، واستحدثوا فنا سموه بالزجل ، والتزموا النظم فيه على مناخهم لهذا العهد ، فجاءوا فيه بالغرائب واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة."(3)

وزخر ميدان الشعر بمؤلفات وقصائد أبرزها: ديوان الأعمى التطيلي له قصائد مديحية يتجاوب بعضها مع الانتصارات المغربية ضد المسيحية في اسبانيا، ونجد أيضا ديوان ابن خفاجة، ومن بين أشعاره المغربيات:

***أربعة قصائد في الأمير المرابطي إبراهيم بن يوسف بن تاشفين.**

***قصيدة كتب بها من تلمسان إلى أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين**

***قصيدة في الأمير أبي يحي بن إبراهيم.(4)**

1-الحسن السائح:الحضارة الإسلامية في المغرب،دار الثقافة للنشر والتوزيع،الدار البيضاء، المغرب،ط2، سنة1986،ص176
2-ينظر: المرجع نفسه،ص177
3-المرجع نفسه،ص178
4-المرجع نفسه،ص180

ويبدو من خلال هذا العرض ، أن الهجرات الأندلسية إلى المغرب الإسلامي ، كانت فأل خير عليها ، حيث رفعت من همم أهلها ، وجعلت المغرب جوهرة العلوم ومقصد القاصدين من العلماء والطلبة ، ويمكن القول أن المغرب بتلاحمه مع الأندلس قد استفاد سياسيا و علميا وأدبيا.

فبالإضافة إلى رحلات العلماء والتواصل بينهم ، كان تأثير الأندلسيين على المغرب انعكس على الأندلس هي الأخرى التي أصبحت تستنفد من المغرب علماءها ، كعبد الله بن ياسين مثلا الذي نبغ في الأندلس ومنبته في المغرب ، ولم يترك الأندلسيون فنا من الفنون أو علما من العلوم إلا استقطبته وخصته بالعناية وحضنته وأغدقت عليه النفيس.

ب-إتجاهات النقد المغربي القديم:

عرف النقد الأدبي في المغرب العربي إتجاهات مختلفة نذكر منها:

❀اتجاه أدبي:

لم يكن النقد الأدبي في المغرب العربي في قطيعة مع النقد المشرقي ، وبعبارة أخرى كان النقد في المغرب العربي امتدادا للنقد العربي القديم، إذ كان الناقد المغربي يتعقب العمل الأدبي ، فيفحص القصيدة كلمة كلمة ، ويصوب اللغة التي يراها فاسدة فيها، فيستبدل اللفظ بغيره ، أو يعيد النظر في التركيب كله، لكونه لفظا عاميا مولدا، أو لكونه أعجميا، أو لكونه لا يطابق البيت الشعري في قافيته أو في دلالته.ويمثل هذا الإتجاه (أبو عبد الله بن أبي القاسم 789هـ-1387م)*

بكتابه (أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلي) المتوفى (سنة 750هـ)، وهو كتاب شرح فيه قصيدة صفي الدين الحلي في فن علم البديع ثالث، فنون علم البلاغة، ومرتبته من الناحية الأهمية بعد مرتبتي علم البيان والمعاني.

وقد مرت نشأة علم البديع بمراحل: " ابتدأها ابن المعتز ، ولم تكتمل جميع أنواعه حتى جاء صفي الدين الحلي، فنهج على منوال من سبقه في نظم القصائد البديعية ، مثل البوصيري وغيره فنظم بديعيته هذه في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ثم شرحها ، وجعل كل بيت لنوع معين ، وباب من أبواب الشرح."(1)

منهج الكتاب:

إن من الأسباب التي دعت المؤلف إلى شرح قصيدة صفي الدين الحلي التي جمع فيها أنواع البديع ،التي استخرجها ممن سبقه من العلماء سؤال الطلاب له حيث قال: " سألني من منحني وده وصفوه ، وكرر لدي سعيه وخطوه أن أضع لها شرحا يكون مقربا لمعانيها ، مهذبا لألفاظها ومبانيها، مستخرجا لمعجزات عجائبها، ومنبها على محاسن غرائبها."(2) ثم تابع شرح القصيدة وما فيها من أنواع البديع وفق منهج خاص بأسلوب علمي دقيق، وأدبي مثير لإنفعالات النفوس منشطا للأذهان ، متتبعا في ذلك ما يلي:

***هو أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم الفاسي المولد ، الجزائري الدار.**

1-أبو عبد الله بن أبي القاسم: أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلي، ج1، تح:مصطفى مرزوقي،العميد للنشر والتوزيع،المسيلة-الجزائر،سنة2014،ص14

2-نفس المصدر،ص15

-يشرح أنواع البديع التي وردت في القصيدة (كل أنواع في بيت واحد) فيقدم التعاريف التي وردت على لسان العلماء المشهورين في البلاغة ، ويقارن بينها.فيرجع ما استحسنه ، ثم يأتي بشواهد له من الشعر والنثر، والقرآن الكريم والسنة النبوية.
-يشرح الألفاظ اللغوية الغريبة والمحتملة لمعان عدة التي وردت قي كل بيت، ويستطرد من حين لآخر لتوضيح دلالة لغوية لكلمة ثم يذكر لها شواهد توضح معنى البيت.
-يبين المعنى الإجمالي للبيت وقد يذكر قصة لها علاقة بالمعنى واللغة موحيا بذلك إلى الاقتصار على دراسة قواعد البلاغة لا يفي بالغرض المرجو منها دون دراسة شواهد مختلفة وما تشتمل عليه من المعاني التي ترفع المستوى الخلقي والأدبي، لأنها هي التي توضح شخصية الأديب ومدى ترابطه بالبيئة التي عاش فيها.
-يعرب البيت ويذكر الأوجه الإعرابية المحتملة ويستطرد إن دعت الضرورة لشرح قاعدة نحوية أو صرفية تسهيلا على الطلاب.(1)
فالكتاب موسوعة علمية لم يقتصر فيها على اللغة والبلاغة، بل تدفعه مناسبات إلى ذكر قاعدة فقهية أو أصولية، أو عقائدية، أضف إلى ذلك أنه يتجنب استعمال الألفاظ الغريبة التي يصعب فهمها على الطلاب، ويأتي من حين إلى آخر بقصص طريفة وملح تبعد السآمة عن القارئ ، متجنبا التطويل.

<u>مصادر الكتاب:</u> اعتمد المؤلف في شرحه لهذه القصيدة على ثلاثة مصادر اساسية:

<u>الأول:</u> شرح الناظم صفي الدين الحلي لبديعيته المسمى (بالكافية البديعية) وهو شرح مختصر يشتمل على مائة وخمسة وأربعين بيتا، كل بيت لنوع خاص من البديع .
<u>الثاني:</u> كتاب (المصباح لبدر الدين بن مالك) ت 676هـ وهو تلخيص للقسم الثالث لكتاب (المفتاح للسكاكي) ، نهج فيه على منوال من سبقه في استخراج البديع، وأهم شيء فيه ما أضافه إلى مختصره ، أنه توسع في ذكر المحسنات البديعية، إذ ذكر أربعة وخمسين نوعا.
<u>الثالث:</u> الإيضاح للخطيب القزويني ، وهو شرح لتلخيص المفتاح ، حيث بسط فيه المؤلف القول في معاني البلاغة ، واستوعب فيه كافة أنواعها، فوضح المواضع المشكلة في المفتاح.(2)
نماذج تطبيقية من الكتاب:
<u>باب التورية:</u>

" قوله رحمه الله:

خير النبيئين والبرهان متضح في الحجر عقلا ونقلا واضح اللّقم

اعلم أن الناظم رحمه الله تعالى ضمّن في هذا البيت اللقب المسمى ب" التورية ". وعرفه بأن قال: (هو أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين قريب وبعيد، فيذكر لفظا يوهم القريب إلى أن يجيء بقرينة يظهر بها أن مراده بعيد) "(3)

1-ينظر: أبوعبد الله بن أبي القاسم:أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلي،ص15و16
2-ينظر:المصدر نفسه،ص18
3-المصدر نفسه،ص387

اللغة: قولـه:" خيـر أي أفضل، قولـه: والبرهـان: البرهـان هـو الحجة. قولـه:" متضـح هـو اسم فاعل مـن اتـضـح الشـيء إذا ظهـر بياضـه، وأوضحت الشيء فوضح، أي أظهرته فظهر، وتبين، قوله في الحجر في سورة الحجـر، قـولـه: نقـلا، النقـل هـو مـصدر نقـل ينتقل إذا حوّل شيئا من مكان إلى مكان. قولـه: عقلا قد تقدم معنى العقـل. قـولـه: واضـح اللقـم تقـدم معنى الواضـح، واللقم هو الطريق الواسع المنفرج، وهو هنا مستعار إلـى المـعنى."(1)

ومـعنـى البيـت: " أن النـاظـم رحـمـه الله تعـالـى لمـا وصـف النبي صلى الله عليه وسلم بالصفات المحمودة المتقـدمة الذكـر، أعـلم أنه خـيـر النبيئين ، أتى بدليل قاطع يشهد بصحة إعلامه ووضوح برهانه،والحجة البينة علـى خـصـمـانـه ، برفـعـة مقداره، وعظـيم شأنه ، وهـو فـي سـورة الحجر مـن قـولـه تـعـالـى: (لـعمـرك إنّهم لفي سكرتهم يعمهون)* وأقسم سبحانه وتعالى بحياته تعظيما له، ولم يقسم بحياة غيره."(2)

الإعراب: " خير النبيئين أصـله أخـير، إذ هو من أفعال التفضيل ، فنقلت حركة الياء إلى الخاء الساكنة قبلها ثـم حـذفـت الألـف، فـقـيـل خير ويجـري فـي خير مـن الإعـراب، الثلاثة الأعـاريب المتقـدمة، والنبيئـيـن مضاف إليه، قـولـه والبرهـان متضـح، جملة مـن مبتدأ وخبـر، والـواو فيهـا واو الابتداء والـحـال.قولـه: في الحجر جار ومجرور متعلق بمتضح، وهو باب حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه تقـديره في سورة الحجر، وذلك جائز إذا كان المـضـاف معروفا كقـولـه سبحانه:(واسأل القرية)*ومـن المعـلوم أن القـرية لا تسأل ، وإنما يسأل أهلها ، فيكون تقديره ذلك ، فاسأل أهل القرية.

قـولـه: نقـلا وعـقـلا، هـما مـصدران، عطف الثاني على الأول، وهما في معنى الحال بتأويل منقول ومعقول-والمـصادر المـنـكـرة تأتي أحـوالا كـثيرا-والعـامل فـيـهـما مـتضـح ،وصـاحبهما الضمير المستتر فيه، العائد على البرهان، قـولـه: واضـح اللقـم يحـتمـل أن يكون منصوبا على الحال من الضمير المستتر في متضح، العائد على البرهان، وإضافة واضح غير محضة، وهذا الإعراب يصح إعراب نقلا وعـقلا حالين، ويحتمل رفع واضح على أنـه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو، فاعلمه والله تعالى أعلم."(3)

1-أبو عبد الله بن أبي القاسم:أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلي، ج1، ص394
***سورة الحجر الآية:72**
2-المصدر نفسه،ص394
***سورة يوسف الآية:82**
3-المصدر نفسه،ص394 و 395

❀اتجاه بلاغي نقدي:

وجد في نقد المغاربة مزج بين البلاغة والنقد، إذ أن كثير من النقاد بنوا حكمهم النقدي على تأثرهم الواضح بالبلاغة ،وهذا ما يوضحه الدكتور عبد السلام شقور: " إن عموم النقاد دخلوا ميدان النقد والبلاغة من باب الدراسات القرآنية، فقد كانت الكتب التي ألفت على هامش القرآن عمدتهم."(1)

ويمثل هذا الاتجاه القاضي عياض، الذي حصر أوجه إعجاز القرآن في أربع حالات:

-" حسن التأليف والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه

-صورة نظمه والأسلوب الغريب المخالف لأسلوب العرب

- ماانطوى عليه من الإخبار بالمغيبات

-ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة."(2)

والقاضي عياض في تعرضه للإعجاز القرآني يدرس ما يشتمل عليه الكتاب الكريم من بلاغة نادرة، وفصاحة مثالية.ويظهر شغف عياض بالبلاغة أكثر في شرحه لحديث (أم زرع) * الذي يعد شرحا مشهورا كتب عنه الكثير، وقام بتحليله ونقده القاضي عياض ضمن كتابه (بغية الرائد فيما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد) ، وسنورد نموذج من نقد القاضي عياض لهذا الحديث: " قالت المرأة الأولى: زوجي لحم جمل غثّ على رأس جبل لا سهل فيرتقى، و لا سمين فينتل."(3)

وهذا الحديث شرحه شرحا لغويا وبلاغيا ونقديا، قال:"... واعتبر كلام الأولى، فإنه مع صدق تشبيهه، وصقالة وجوهه، قد جمع من حسن الكلام أنواعا، وكشف عن محيا البلاغة قناعا، وقرن بين جزالة الألفاظ، وحلاوة البديع، وضم تفاريق المناسبة، والمقابلة، والمطابقة، والمجانسة، والترتيب، والترصيع.والتشبيه أحد أنواع البلاغة ، وأبدع أفانين هذه الصناعة، وهو موضوع للجلاء والكشف، والمبالغة في البيان والوصف، والعبارة عن الخفي بالجلي، والمتوهم بالمحسوس، والشيء بما هو أعظم منه أحسن، أو أخس وأدون، وعن القليل الوجود بالمألوف المعهود، وكل هذا لتأكيد البيان، والمبالغة في الإيضاح، فانظر أين قول القائل:الذين كفروا أعمالهم لا ينتفعون بها، من قوله تعالى: (الذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة). وتأمل ما بين الموضعين من البيان وفرّق بين الكلامين في الإيضاح، وإن كان الغرض واحدا والموضوع سواء."(4)

لعل أن هذا النص يلخص منهج عياض،وتكشف عن خصائصه في نقده والتي تتمحور حول القضايا الفنية التالية:

-احتفاله بالبلاغة تشبيها وبيانا.

-كشف ما في نص من جزالة الألفاظ ، وحلاوة البديع من خلال استعراضه لبهض المصطلحات النقدية كالمقابلة والمطابقة والمجانسة، والترصيع.

-توضيحه السجع الموجود في هذا النص، مثل: جمل/جبل ، غثّ/وعثّ.(5)

1-محمد مرتاض:النقد الأدبي القديم في المغرب العربي،ص157

2-المرجع نفسه،ص157

***مطلع الحديث:حدثنا سليمان بن عبد الرحمن وعلي بن حجر قائلا:" أخبرنا عيسى بن يونس، حدثنا هشام بن عروة بن عبدالله بن عروة عن عروة ن عائشة:قالت: جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا..."**

3-المرجع نفسه،ص158

4-المرجع نفسه،ص159

5-المرجع نفسه،ص160

ابن رشيق والنقد البلاغي:

كـان ابـن رشـيـق ذا ثـقـافـة واسعـة، ملما بعلوم البلاغـة والبيان والبـديع، مـحـتذيا في ذلك بأكابر البلاغيين فـي الـمـشرق العربـي، وقـد وظـف هـذه الـعلوم في نقده وحكمه بأن خلو الخطاب الشعري من بعضها أو كلها قـصـور، لذلك نجده يتبنـى مـوقـف مـن ذهـبـوا إلـى تطـعيم الشعر بأدوات بلاغية يقول: " وقال غير واحد من العلمـاء: الشـعـر مـا اشتمـل عـلى المـثـل السـائـر، والاستعـارة الرائعـة، والتشبيه الواقع، وما سوى ذلك فإنما لقـائـلـه فـضل الوزن."(1) ويتضح موقف ابن رشيق النقدي البلاغي في تعليقاته على الأبيات الشعرية المنفردة مـثلمـا يتضـح فـي تعليقه التالي عـلى بيت امـرئ القـيس:

" مـكـرّ مـفـرّ مـقـبـل مـدبـر مـعـا كجلـمـود صخـر حطّه السيل من عل "(2)

يعلـق ابـن رشيـق هـذا البيت بقـولـه: " فـإنما أراد أنه يصلح للكرّ والفرّ، ويحسن مقبلا مدبرا، ثم قال "معا" ؛ أي جـمـيـع ذلك فيه. وشبهه في سرعته وشدة جريه بجلمود صخر حطه السيل من أعلى الجبل، فإذا انحط من عـال كـان شـديـد السـرعـة،فـكـيـف إذا عـانته قـوة السيل من ورائه ؟ وقال بعض من فسره من المحدثين: إنما أراد الإفـراط فـزعـم أنه يـرى مـقـبـلا ومـدبـرا فـي حـال واحـدة عـنـد الكـر والفر لشدة سرعته، واعترض على نفسه، واحتج بمـا يوجد عـيـانا، فمثله بالجلمود المنحدر من قمة الجبل، فإنك ترى ظهره في النصبة على الحال الـتـي تـرى فـيها بطنه وهـو مقبل إليك. ولعل هـذا مـا مـرّ قـط ببال امرئ القيس ، ولا خطر في وهمه ولا وقع في خلده، ولا روعه."(3)

❀اتـجـاه أخـلاقـي:

تـفـشى هذا النوع من النقد في أوساط النقاد المغاربة، ذلك أن هؤلاء النقاد ظهروا في عهد الإرهاصات النقدية، الـتـي كـانـت قائمة عـلى أساس أخلاقي هدفها خدمة الإسلام بالدرجة الأولى، ثم خدمة الأدب في الدرجة الثانية، إضـافـة إلـى أن مـعـظـم النقـاد المغـاربة كـانوا فقهاء ، لذلك اجتمعت آراؤهم على الشعر الذي يوحد ولا يشتت، ويدعو إلى سلوك حسن أو يبعث في النفوس صلابة، وكانـتا يعيبون كثيرا من الأغراض التي تزرع الفتنة ، من أجل ذلك وقـفوا طويلا إزاء الأغراض الشعرية، وأيها أصلح للناس.(4) ويمثل هذا الاتجاه ابن شرف القيرواني ، فأراؤه طبعتـها طـوابع أخلاقـية ، واتضحـت مع (ابـن هـانـئ الأندلسي) الشهـير بمبالغاته ومغالاته، فلقي من ابـن شرف استنكارا وتشهـيرا حيث وصفـه بأنه " رجـل يستعين عـلى صـلاح دنياه بفساد أخراه لرداءة عقله، ورقـة دينـه، وضعف يقينه، ولـو عـقـل لـم تـضـق عليه مـعـانـي الشعر حتى يستعين عليها بالكفر."(5) فابن شرف يحذر مـن الوقـوع فـي المـزلات والسقـطات ، وألا يعيش الرجل شخصية مزدوجة إحداهما لدينه وأخرى لفنه، ويجب أن تكون سلوكاته ثابتة لا عوج فيها.

1-ابن رشيق: العمدة، ج1، ص122
2-ابن رشيق: العمدة، ج2، ص734
3-المصدر نفسه،ص735
4-ينظر:محمد مرتاض: النقد الأدبي القديم في المغرب العربي،ص157
5-المرجع نفسه،ص177

ابن رشيق والنقد الأخلاقي:

لقد وضح ابن رشيق في العمدة أنه مع الشعر الذي يحمل في ذاته قيمة أو قيما كثيرة، وهو إن توفر على جانب من هذه الخصائص كان شعرا لا تستنكف منه الأسماع، بل تطلب منه المزيد. بعد ذلك ينطلق من الشعر الذي ثبت عن حسان بن ثابت في الاعتذار للرسول صلى الله عليه وسلم من قوله في حديث الإفك الذي دار حول سيدتنا عائشة رضي الله عنها في أبيات مدحها بها منها:

" حصـان رزان مـا تـزن بـريبـة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم فـلا رفـعت صـوتـي إلـيّ أنـاملي

فـإنّ الـذي قـد قـيـل ليـس بلائط ولـكنـه قـول امـرئ بي ما حل"(1)

وبعد هذا المثال يشدد على قيمة الشعر في الإسلام، حتى إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال لحسان بن ثابت: " اهجهم فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السّهام، في غبش الظلام، اهجهم ومعك جبريل روح القدس.

القاضي عياض والنقد الخلقي:

بنى القاضي عياض معظم نقده على النقد الخلقي، لأنه انطلق من تحليل الأحاديث النبوية، واستخراج جوانب من تركيباتها البلاغية والنحوية، وبناء على موقفه الخلقي فإنه أبعد أبياتا شعرية تتنافى مع الأخلاق، ويضرب مثلا على ذلك ببيت المتنبي الذي أنشده مفتخرا بنفسه:

" أنـا فـي أمـة تـداركـها الله غـريـب كـصـالـح فـي ثـمـود

ويصف هذا البيت وما يشبهه بأنه من أشعار المتعجرفين في القول ، المتساهلين في الكلام من الشعر الذم الذي نال فيه قائلوه من الرسول صلى الله عليه وسلم وإن كان ذلك دون قصد."(2)

ثم يقول: " وأقبح منـه قول المعرّي:

كنت مـوسـى وافـتـه بنت شعيب غـيـر أن ليس فيكما مـن فقير

يقول: إن آخر البيت شديد في الازدراء والتحقير بالنبي صلى الله عليه وسلم وتفضيل حاله عليه. "(3)

لقد نظر القاضي عياض إلى الشعر على أنه جزء من الأخلاق، وكل شاعر لا يحترم هذا المنهج يصاب إنتاجه بانهيار، ويرى أن المبالغة في المعاني لبعض الأبيات الشعرية هي مس بقداسة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن قائليها خرجوا عن الجادة بطرق متفاوتة.(4)

1-ابن رشيق:العمدة،ج1،ص25
2-محمد مرتاض:النقد الأدبي القديم في المغرب العربي،ص180
3-المرجع نفسه،ص180
4-ينظر:المرجع نفسه،ص181

❀الاتجاه الذوقي:

نعني بالنقد الذوقي تلك المساجلات أو الملاحظات التي اشتملت عليها مخلفـــات النقـاد فـي المغرب العربي، ولا يوجد ناقد لم يبن حكمه النقدي على هذا الجانب،وإن لم تطغ الذاتية في كثير من الأحيان ،ويمثـل هذا الإتجاه القزاز القيرواني ، فمن خلال ما تركه من آراء،يتبين أنه نظر إلى كثير من المفاهيم النقدية نظرة ذوقية، وهذا ما جعله يعيب على المرار العدوي فإذا تباعد كان أجود له ، وأصح لثمره."(1)

ابن رشيق والنقد الذوقي:

ورد في كتابه العمدة بعض اللمحات النقدية التي تدخل فـي هذا الباب، فهـو كثيرا ما يورد الحديث ويوازنـــه ببيت آخر ليؤثره عليه. يقول وهو يورد ما يروى من مدح لهشام بن عبد الملك أنشده فيه أبو النجـــم:

" والشمس قد كادت ولما تفعل كأنها في الأفق عين الأحول"(2)

وكان هشام بن عبد الملك أحول، ويرى ابن رشيق أن الوقوع في مثل هذه المزلات إنما يعود إلى فساد في الطبع ، أو استغراق في الصنعة.(3)

ثم ينبه الشعـــراء قائلا: " والفطن الحاذق يختار للأوقات ما يشاكلها ، وينظر في أحوال المخاطبين، فيقصد محابهم، ويميل إلى شهواتهم وإن خالفت شهوته، ويتفقد ما يكرهون سماعه فيتجنب ذكره."(4) فابـن رشيـــق يرفض أن ينشد الشاعر خطابا شعريا دون مراعاة المقام، واحتـــرام ذوي العاهات قبل أن يعرضه للمتلقـــي.

1-القزاز القيرواني:ما يجوز للشاعر في الضرورة،تح:المنجي الكعبي، الدار التونسية للنشر، تونس،ط2، ج1،ص45
2-ابن رشيق:العمدة، ج1، ص223
3-ينظر:المصدر نفسه،ص223
4-المصدر نفسه،ج1،ص224

ولقد اتخذ التأليف في المغرب الإسلامي في فن النقد عدة اتجاهات نذكر منها:

***التـــأليف في نقد الشعـــر وعلومـــه: فمن أمثلتـــه: (المطرب في أشعار أهل المغرب) لإبن دحية الكلبي (ت633هـ)،و(الختام المفضوض عن خلاصة علم العروض) لأبي بكر القللوســـي (ت707هـ) ، و(الكافي في علـم القوافـي) و (شرح الغموض من مسائـل العروض) لأبـــي الحسن بن بري (ت730هـ) ، و(رسالتـان فـي الدوبيت) لمالك بن المرحل (ت 699هـ).**

***التـــأليف النقدي فـــي الشـروح الأدبيـــة: ومن أمثلته: شرح مـــالك بن المـــرحل لقصيدتـــه المسماة (الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا و الأخرى)، و (شرح أبي العباس الشريشي (ت619هـ) لمقـــامات الحريري، و(إظهار صدق المودة في شرح البردة) لمحمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد (ت843هـ) و (شـــرح البردة) لأبي عبد الله محمد بن محمد الألبيري (ت782هـ)، و(رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة) للشـــريف السبتـــي (ت 760هـ).**

***التـــأليف في النقد من خلال كتب تراجم الأدباء: ومن أمثلة الكتب النقدية في هذا الاتجاه: ابن بســـام الشنتريني في كتابه (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة)، والفتح بن خاكـــان في كتابيه (قلائـــد العقـــيان) و(مطمح الأنفس)، وأبو الحسن علي بن موسى بن سعيد في كتابه (الغصـــون اليانعـــة في محاسن شعراء المائـــة السابعـــة) ، وابن عبد الملك المراكشي في كتابه (الذيل والتكملة).(1)**

1-ينظر:محمد مسعود جبران: فنون النثر الأدبي، ج1،ص364و365و366

إذا كان النقد الأدبي يعنى بدراسة الأثر الأدبي من حيث مزاياه الذاتية ومواطن الحسن فيه، فهو بذلك يثير جملة من المسائل والقضايا النقدية النظرية والتطبيقية ، وبالتالي فهو الطريق لإثبات ما كان يعتقده الناقد صحة أو خطأ ، تجاه العمل الأدبي ، بحيث يمكن القول أن هذه العملية النقدية تسهم في بيان جمال هذا العمل الأدبي إلى جانب تجسيد النظريات المسبقة، وسنحاول في هذا الفصل الإلمام ببعض القضايا النقدية التي أثارها المغاربة.

1-قضية مفهوم الشعر:

تعد قضية مفهوم الشعر من أهم القضايا النقدية الأكثر تناولا، والتي شغلت النقاد منذ القديم لارتباطها بفن الشعر، الذي اشتهر به العرب. ولعله الفن الوحيد الذي يصدر عن الوجدان " فقد كان ترجمة عن كل ما اختلج في ذات الشاعر ، ذلك الفرد الذي يعبر بلسان الجماعة عن مختلف عواطفها وإحساساتها ، ومواقفها الخاصة والعامة تجاه العالم الخارجي."(1)

اهتم العرب بنقد الشعر واختلفت دلالته عندهم على مر العصور، بل في العصر نفسه وتنوعت تعاريفه على أساس الذوق والعلم، فلما كان الشعر ديوان علومهم به يأخذون وإليه يصيرون ، فقد شغلهم الوقوف على ماهيته وضبط خصائصه التي تميزه عن سائر فنون القول.

يقول عبد الكريم النهشلي: " لما رأت العرب المنثور يند عليهم ويتفلت من أيديهم، ولم يكن لهم كتاب يتضمن أفعالهم ، تدبروا الأوزان والأعاريض، فأخرجوا الكلام أحسن مخرج بأساليب الغناء، فجاءهم مستويا ، ورأوه باقيا على مرّ الأيّام ، فألفوا ذلك وسموه شعرا."(2)

والملاحظ أنّ حدّ " الشعر عنده لم يكن مجرد ألفاظ موزونة مقفاة أو أقوال تدل على معنى، وإنما هو الفطنة والشعور، أي هو عاطفة وأحاسيس، ووجدان متمثلا بقول العرب: ليت شعري بمعنى ليت فطنتي."(3) يقول عبد الكريم النهشلي في تعريفه للشعر: " ... والشعر عندهم الفطنة. ومعنى قولهم: ليت شعري. أي ليت فطنتي ."(4) وكأن الفطنة تحمل معنى الفهم عنده عكس الغباوة.

1-أنيسة بن جاب الله : أصناف الشعر في التصور النقدي لعبد الكريم النهشلي، المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري،جامعة محمد خيضر،بسكرة،العدد الثامن، سنة2012،ص207
2-بشير خلدون:الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي،ص56
3-المرجع نفسه،ص57
4-احسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب،ص448

ومن هنا يتبين أن عبد الكريم النهشلي " استطاع أن يفهم مبنى الشعر كما لو كان يعيش معنا اليوم، فتحديده لمعنى الشعر بالفطنة إشارة إلى عنصر الوحي والإلهام الذي هو مصدر للإبداع الفني الخالد، وهي قضية تنال اهتمام كبار النقاد والباحثين اليوم بما في ذلك الغربيون أنفسهم، فالشعر عندهم هو التعبير عن التجربة الشعورية ، أي الفطنة والشعور، كما عبّر عنها عبد الكريم النهشلي."(1)

وقد صنف عبد الكريم النهشلي الشعر إلى أصناف على أساس الفضيلة وضدها فقال: " الشعر أصناف. فشعر هو خير كله، وذلك ما كان في باب الزهد والمواعظ الحسنة والمثل العائد على من تمثل به بالخير وما أشبه ذلك، وشعر هو ظرف كله وذلك القول في الأوصاف والنعوت والتشبيه وما يفتن به من المعاني والآداب، وشعر هو شر كله وذلك الهجاء وما تسرع به الشاعر إلى أعراض الناس، وشعر يتكسب به وذلك أن يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها ويخاطب كل إنسان من حيث هو ويأتي إليه من جهة فهمه."(2) فقد اعتمد في تصنيفه على ثنائية أخلاقية هي ثنائية الخير والشر، ويتوسط بين كل ماهو خير وكل ماهو شر أمور تمثلها النهشلي في شعر الظرف وشعر التكسب، وهو في تقسيمه هذا متأثر بقدامة بن جعفر في موقفه من الشعر وأقسامه.(3)

وفي موضع آخر يقول في أقسام الشعر: " أصناف الشعر أربعة: المديح والهجاء والحكمة واللهو، ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون فيكون في المديح: المراثي والافتخار والشكر، ثم يكون من الهجاء الذم والعتاب والاستبطاء، ومن الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ، ويكون من اللهو الغزل والطرب وصفة الخمر والمخمور."(4)

1-بشير خلدون: الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي،ص58
2-أنيسة بن جاب الله: أصناف الشعر في التصور النقدي لعبد الكريم النهشلي،ص208
3-ينظر:أنيسة بن جاب الله: أصناف الشعر في التصور النقدي لعبد الكريم النهشلي،ص209
4-احسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب،ص449

أمـا إبـراهيـم الحـصـري القـيـروانـي لـم يقـدم مـفـهـومـا واضـحـا للشعر، لكن قدم في كتابه (زهر الآداب وثـمـر الألـبـاب) إشـارات حـول مـفـهـوم الشـعـر عـنـده كـقـولـه:" قـيـل لابـن الزبعرى: لما تقصر أشعارك ؟ فـقـال: لأنـهـا أعـلـق بالمـسـامـع ، وأجـول فـي المـحـافـل. وهـذه خـاصـيـة مـن أهـم خصائص الشعر المغربي ألا وهـي قـصـر النـفـس."(1)

ومـمـا أورده الحـصـري حـول مـوسـيـقـى الشـعـر قـولـه: " قـد مـدح الجـاحـظ العـروض وذّمها، فقال في مـدحـهـا: العروض ميزان ومعراض، بها يعرف الصحيح من السقيم، والعليل من السليم، وعليها مدار الشعر، وبـهـا يسلم من الأود والكسر. وقال في ذّمه: هو علم مولد ، وأدب مستبرد، ومذهب مفروض، وكلام مجهول، يسـتـنـكـر العـقـل بـمـسـتـفـعـلن وفـعـول، مـن غـير فـائـدة ولا محصول."(2) من الواضح أن مفهوم الشعر عند الحـصـري هـو نـفـسـه الـذي أقرّ به الجاحظ ومن سار على دربه، فهو مقلد في هذه القضية لمن سبقه، فنجده يستعرض لأفـكـارهـم وأرائـهـم دون رفـض.

أمـا ابـن رشـيـق فـالشعر عـنـده لـم يكن مجرد ألفاظ موزونـة ومقفاة أو أقوال تدل على معنى، وإنما الشعر عـنـده" يقـوم بعد الـنـيـة مـن أربـعـة أشـيـاء: وهـي اللفـظ والـوزن والمـعنى والقافية هذا هو حد الشعر؛ لأن من الكلام موزونا ومقفى وليس بشعر، لعدم القصد والنية كأشياء اتزنت من القرآن ومن كلام النبي صلى الله عـلـيـه وسـلـم."(3)

ومـن خـلال هـذا التعريف نلاحـظ أن ابـن رشـيـق لم يخرج عما قاله السابقون في حد الشعر بأنه يقوم على أربعـة أشـيـاء وهـي: اللفـظ والـوزن والقـافـيـة والمعنى، ولكنه أضاف النية والقصد كشرط لتمييز الشعر عن النـثـر.

ولـقـد أراد بقـولـه هـذا أن يفـرق بين الكـلام المـوزون والمقـفـى ولـكـن بدون نية وقصد، فما يكون منظوما ومـوزونـا ويـدل على معنى ولكنه لا يعبر عن الإحساس والشعور النفسي ، ولا يثير المتلقي فهو ليس شعرا، بـل لا بـد مـن خاصـية تمـيـزه، وتتمـثـل هـذه الخاصـية فـي الإحـسـاس الصـادق العميق الذي ينقل إلى المتلقي رأي الشاعر في موضوعات معينة، وهذا يدل على فهمه الدقيق لماهية الشعر، وبالتالي فهو يجعل الإحساس الشعري عنصـرا هـامـا مـن عـنـاصر الشعر ، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك حينما قرر أن " الشعر ما أطرب ، وهز النفـوس وحـرك الطـبـاع فهـذا هـو بـاب الشعر الـذي وضـع لـه وبـنـي عـلـيـه."(4)

ولقـد أدرك ابن رشيق كغيره من النقاد ضرورة توافر أنواع من الدواعي والبواعث النفسية التي تساعد الشاعر على الإبـداع والتـركـيـز، فـقـد تحدث عن دواعي الشعر وبواعثه في باب مستقل سماه " عمل الشعر وشحـذ القـريحـة لـه" استهله بإيراد مجموعة من آراء النقاد الذين سبقوه في هذه القضية من أمثال: بشر بن معتمـر وابـن قـتيبة، ووصـية أبـي تمام.

1-محمد مرتاض:النقد الأدبي القديم في المغرب العربي،ص75
2-المرجع نفسه،ص76
3-أبو الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1،ص119
4-المصدر نفسه،ص128

ويرى ابن رشيق أن هذه الدواعي والبواعث النفسية تختلف من شاعر لآخر في كل زمان ومكان ، فقد كان "كثير عزة يطوف في الرباع المحلية والرياض المعشبة، وقيل عن جرير: إنه كان يضع قصائده ليلا فينشغل سراجه ويعتزل، وربما علا السطح وحده، فاضطجع وغطى رأسه رغبة في الخلوة بنفسه، وقيل عن الفرزدق: إنه حين كان يصعب عليه الشعر يركب ناقته ويطوف منفردا في شعاب الجبال وبطون الأودية، والأماكن الخربة الخالية، فينقاد له الكلام، وكان أبو نواس: يستعين على قول الشعر بالشراب."(1)

كما أشار ابن رشيق إلى مجموعة من الخصال التي ينبغي أن يتحلى بها الشاعر حتى يكون قريبا إلى القلوب مثل قوله: " من حكم الشاعر أن يكون حلو الشمائل، حسن الأخلاق، طلق الوجه،بعيد الغور، مأمون الجانب، سهل الناحية، وطيئ الأكناف، وليكن مع ذلك شريف النفس ، لطيف الحس، عزوب الهمة،نظيف البزة، أنفا."(2) كذلك قوله: " وليلتمس له من الكلام ما سهل ومن القصد ما عدل ومن المعنى ما كان واضحا جليا يعرف، فقد قال بعض المتقدمين: شر الشعر ما سئل عن معناه."(3)

أما القزاز القيرواني فلم يضع هو أيضا مفهوما واضح للشعر، فقد تحدث عنه في سياق حديثه عن الضرورة الشعرية في كتابه (ما يجوز للشاعر في الضرورة) ، وهو كتاب قيم يكشف عن عبقريته في مجال النقد واللغة حيث تناول فيه موضع الضرورات التي يقع فيها الشعراء سواء في الألفاظ أو المعاني، فيضطرون بذلك إلى الخروج عن قواعد اللغة وأساليب القياس، وتناول أيضا فيه الفرق بين الشعروالنثر.(4)
وقد بيّن القزاز حدّ الشعر وبنيته في خمسة أشياء وهي:

***<u>المعنى:</u>**

وهذا في قوله: (من فساد في المعاني)

***<u>اللفظ:</u>**

وهذا في قوله: (والخطأ في اللغة)

***<u>الأدوات:</u>**

وقد حصرها في النحو والبلاغة؛ وهذا في قوله: (واللحن في دقائق العربية وفساد التشبيه والتقديم والتأخير ووضع الشيء غير موضعه) (5)

1-أبو الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني:العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ص207
2-المصدر نفسه،ص177
3-المصدر نفسه،ص180
4-ينظر:بشير خلدون:الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي،ص95
5-ينظر: القزاز القيرواني: ما يجوز للشاعر في الضرورة،تح:المنجي الكعبي،الدار التونسية للنشر،تونس،سنة1971،ص37

***القـافيـة:**

وهذا في قولـه:(واختـلاف القـوافي ومـا يـجـوز فيـهـا مـن الإكـفـاء والإقـواء وغـيـر ذلك).(1)

***الـوزن:**

بـالـرغـم أن الـقـزاز لـم يـذكـره صـراحـة لـكنه تناوله ضمن دراسة القوافي، وزيادة على ذلك يعتبر الوزن شـرط أسـاسـي فـي بـنـاء القـصـيـدة وذكـره مـن عـدمـه لا يـعـنـي إهـمـالـه.(2)

أمـا مـن ركـائـز مـقـومـات بناء القصيدة عند القزاز (البناء الأسلوبي)، وهو يخضع بالدرجة الأولى لتحديد الغرض فـهـو القالب الذي يحدد اللفظ والمعنى المراد، ومن أمثلة ذلك ما ورد في كلامه عن المعاني المعيبات وبـالـتـحـديد فـي بيت حـسان رضـي الله عـنـه حين يقول:

" لنا الجـفـنـات الغر يلـمعن بالضحـى وأسـيافـنا يقـطـرن مـن نجـدة دما

وقـد رد نـابـغـة الـذبياني عـلى حسان قـولـه: ما صنعت شيئا قلّلت أمركم... "(3) وقد أورد نـابغة ألفاظا بديلة لألفاظ حسّان. ومـن المعلوم أن القزاز كان يقلد أحكاما سابقة للنابغة في نقده لهذا البيت، لكنه انفرد بإشارات جعلت منه متمـيزا في نقده عن غيره، فهو قد عرض لبيت حسّان وما قال النابغة حوله دون تعقيب منه، فهو بهذا يقبل البناءين، لأنه يعرف قدر الشاعرين، وأن كل منهما قد مخض المعنى الذي يريده فـي فـكره وألبسه الألفاظ التي تناسبه حسب اجتهاده، وهذا في قوله: " أن بناء المعنى فـي ذهـن القارئ ليس بالضرورة مطابقا لما عـنـاه المـبدع، وهـذا مـا يـحـيـلـنـا إلـى أن الشاعـر قـد يبني قصيدة تشرئب لها الأعناق وتتخللها ألفاظ يعتقد القارئ لها أنها أخلت بالمعنى ، وهـي عـكـس ذلك لجزيئات مهـمة أرادها الشاعر وغـابت عـنـه."(4)

والملاحـظ أن القـزاز اهتم بأهم شيء في صناعة الشعر ألا وهو تصور الظاهرة والإحاطة بأبعادها ، واختيار الألفـاظ الـتـي تـنـاسبـهـا بمـا يـخـدم غـرض الشاعـر.

1-القزاز القيرواني:ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص37
2-ينظر:بشير خلدون:الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي،ص95
3-القزاز القيرواني: المصدر نفسه،ص38
4-المصدر نفسه،ص38

وتحدث حـازم القـرطـاجـنـي فـي كـتـابـه (مـنـهـاج البـلـغـاء وسـراج الأدبـاء) عـن ماهية الشعر وحقيقته فقال: " الشعر كلام موزون مقفى ، مـن شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصـد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه، بما يتضمن مـن حسن تخييل ومحاكاة مستقلة بنفسها، أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، أو قوة صدقة، أو قوة شهرته، وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب، فـإن الاستغراب أو التعـجب حركة للنفس، إذا اقترنت بحركتها الخيالية ، قوى انفعالها وتأثيرها."(1)

وبناء عـلى هذا القول فحازم القرطاجني يفرق بين الشعر الجيد والشعر الرديء، فالشعر الجيد في رأيه هو ما كانت محاكاته حسنة، وتأليفه حسن كذلك، وكـذبـه خفـيا وبه غرابة، أما الشعر الرديء فهو الذي يخلو من هـذه الصـفـات، أي ما كان قبيح المحاكاة والهيئة، واضـح الكذب، خالي من الغرابة.

ونستخـلـص مـما تقـدم أن النقـاد المـغاربة اهتموا بالشعر في كثير من مصنفاتهم ، ونجد أن السمة التي مـيـزت تناولهـم لقـضـية الشعر هـي عدم التقيد بضوابط التعريف؛ فلا نجد تعريفا واضحا للشعر باستثناء عبد الكريم النهـشلـي الذي حاول أن يقـدم مفهوما واضحا لمفهوم الشعر، ولكن جاء بعدهم نـاقد يعد من أبرز النقاد المغاربة في عصره، حيث نجد العملية الشعرية تتضح عنده أكثر مـن بقية النقـاد المغاربة الذين كانت نظرتهم إلى الشعر جزئية، إنه النـاقد المتميز ابن رشيق القيرواني الذي حاول فـي كتابه (العمدة) أن يقدم تصورا عن الشعر ومفهـومـه.

2-قـضـيـة الـلـفـظ والـمـعـنـى:

تعد قـضـيـة اللفظ والمعنى من أهم القضايا النقدية التي دار حولها الخلاف وكثرت فيها الآراء، فتمحور ذلك كله حول أيهما مصدر الإبداع الجيد في الشعر اللفظ أم المعنى ؟

فالمتتبع لذلك يجد أن قضية اللفظ والمعنى قد انبثقت عن الصراع القائم بين أنصار الشعر القديم، والشعر الحديث، فأنصار القديم، من علماء اللغة ورواة الأدب اتخذوا اللفظ مقياسا لجودة الشعر، فكلما قرب هذا اللفظ من البداوة، وكلما كان لحينا يملأ الفم، ويهز السمع كان الشعر جيدا، وأما أنصار الجديد من الشعراء والأدباء وبعض العلماء والنقاد، فـقـد جعلوا مـن جـودة المعنى والتعميق فيه وملاءمته لبيئة الشاعر وعصره وروحه وثقافته المزية الأولى للشاعر، ثم جعلوا بعد ذلك ألفاظ الشاعر وعباراته.

وقـد استمـر الخلاف حول اللفظ والمعنى بين النقاد عبر العصور ، فتفرقت بهم الآراء والأذواق وانقسموا إلى ثلاث طبقات:

أ-طبقـة تنتصـر إلـى اللفـظ دون المعنـى.

ب-طـبقـة تنتصـر إلـى المعنى دون اللفظ.

ج-وطبقة تنتصر موقف الاعتدال والتوفيق.(2)

1-عثمان موافي:في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم،ج1،دار المعرفة الجامعية،سنة 2000،ص28و29

2-ينظر:سامي يوسف أبو زيد:النقد العربي القديم،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة،عمان،سنة2013،ص133

وقد اهتم النقاد المغاربة بهذه القضية وتحدثوا عنها في مصنفاتهم ، أمثال: عبد الكريم النهشلي الذي قدم اللفظ على المعنى ولذلك يقول في الممتع:" الكلام الجزل أغنى عن المعاني اللطيفة من المعاني اللطيفة عن الكلام الجزل."(1) وروى قول بعض الحذّاق: " المعنى مثال واللفظ حذو، والحذو يتبع المثال فيتغير بتغيره ويثبث بثباثه."(2) وفي هذين القولين دلالة على اضطراب الناقد حول هذه القضية.

وهي نفس النظرة كان عليها أستاذه القزاز لكن ليس بنفس التصريح المباشر هذا، فما تناوله في كتابه يدل على موقفه من قضية اللفظ والمعنى، فمبدأ الوسطية هو الغالب بحكم أنه لم يغلب المعنى على اللفظ ولا اللفظ على المعنى، فلكل أهميته ، وما يصيب هذا يصيب ذاك من ضعف أو قوة.

وللوقوف أكثر عند رأي القزاز لا بد من الوقوف على ما ورده من أمثلة حول قضية المعنى وقضية اللفظ في كتابه.

<u>أ-المعنى:</u>

وهذا يظهر في قول نابغة الذبياني ، وقد أنشده حسّان قوله:

" لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما "(3)

ما صنعت شيئا: قلّلت أمركم، فقلت: (لنا الجفنات)،والجفان أكث،(والغرّ) والبيض أحسن، (ويلمعن) ويشرقن أجود، (وبالضحى) والدجى أبلغ، وقلت:(أسيافنا) والسيوف أكثر، وقلت: (يقطرن) ويسكبن أجود.(4)

1-إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب،ص499
2-المرجع نفسه،ص500
3-القزاز القيرواني: ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص37
4-المصدر نفسه،ص37

ب-اللـفـظ:

المـلاحـظ فـي كـتـاب الـقـزاز أنـه درس الـلـفـظ مـن وجـهـيـن:

1-اللفظ من خلال معناه:

" وهـذا الجـانـب مـتـعـلـق بـالمـعـانـي فـلا دخـل للنـحـو والصـرف فـي العـمـلـية النقدية ، فهو يدرس المصطلح مـن نـاحـيـة البـلاغـيـة، ويـراد بـاللـفـظ فـي هـذا السـيـاق المـعـانـي المـعـجـمـيـة للألـفـاظ."(1)

ومن أمثلة ذلك:

قول الأعشى:

" وقـد غـدوت إلـى الحـانـوت يتبعـنـي شـاو مشـلّ شـلـول شـلـشـل شـول

قالوا: فهذه الألفاظ كلها بمعنى واحد وهذا عيب."(2)

2-اللفظ من خلال البناء النحوي للجملة:

والهـدف مـن هـذه الـدراسـة هـو " النظر فـي الأسـلـوب الفـنـي مـن حيث بنائـه النحوي، أي من حيث ترتيب عـنـاصـره، والعـلاقـات الخاصة الماثلة بينها في هذا الترتيب والكيفيات أو الأحوال النحوية التي تتعاورها: من تعـريف أو تنكـيـر ، أو حـذف أو ذكـر، أو فصـل أو وصـل، ... مـا إلـى ذلك من أحوال وكيفيات ينظر إليها هذا العلم بوصـفـها تمـثـيـلا لغـويا لأدق خـلـجـات النفس لـدى الشاعر أو الأديب المبـدع."(3)

يقول الشاعر:

" مـن يفـعـل الحـسـنـات الله يشكـرهـا والـشـر بـالشـر عـنـد الله مـثـلان

أراد فـالله يشـكـرها ، وإنّـمـا كـانـت الفـاء واجـبـة هـنـا لأن جـواب الشـرط مـتـى كان جملة أو فعلا مرفوعا لم يـكـن بـدّ مـن الفـاء، لأنـهـا إنـمـا أتي بها لئلا يسلّط ما قبلها على ما بعدها ، ألا ترى أنك تقول: (إن تقم أقم) فـتـجـزم أقـم بمـا تقـدم، ولـو أدخلت الفاء عليها بطل جزمها، لا تقول: (إن تقم فأقم) فحذف الفاء مع الحاجة إليهـا لمـا ذكـرنـا مـن ضـرورة الشـعـر."(4)

1-القزاز القيرواني: ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص46
2-المصدر نفسه،ص48
3-المصدر نفسه،ص156
4-المصدر نفسه،ص169

وابـن رشيـق كـغيره من النقاد اهتم بهذه القضية وأفرد لها بابا مستقلا في كتابه (العمدة)، وحرص على تناولها تناولا دقيقا وصاغها صياغة واضحة أعانه عليها فهمه لآراء سابقيه ومعاصريه في هذه القضية.
وقـد استهـل ابـن رشـيـق هـذا الباب الذي أفرده لـهذه القضية بإعطاء رأيه فيها بكل وضوح، يقول: " اللفظ جسـم وروحـه المـعـنـى وارتبـاطـه بـه كـارتباط الروح بالجسـم يضـعـف بـضـعـفه ويـقـوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه، كما يعرض لبعض الجسم من العرج والشلل ... من غير أن تذهب الروح ، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان اللفظ مـن ذلك أوفر، كالذي يعرض للأجسام مـن المـرض بـمرض الأرواح ... فـإن اخـتل المعنى كـلـه وفـسد بقـي اللفـظ مـواتا لا فائدة فيه وإن كان حسن الطـلاوة فـي السـمع... وكـذلك إن اختل اللفـظ جملة وتلاشـى لم يصح له معنى لأن لا نجد روحا في غير جسد البـتـة."(1)
نستخـلص مـن هـذا النـص أن ابـن رشـيـق يـؤمـن بـالإرتباط الوثيق بين اللفظ والمعنى، لذلك راح يبين قوة الإرتـبـاط بينـهـا، وضـرورة تلاحـمهما في العمل الفني، فقد شبه اللفظ بالجسم وشبه المعنى بالروح ، والعلاقة بينهـما قـوية جدا تـشـبه العـلاقـة بين الجـسـد والروح لذلك يـرى صـعـوبة الـفـصـل بـيـنـهـما، وهـذا يـدل على ادراكه لأهمية تكامل عناصر الفن الأدبي وصعوبة إرجاع القيمة الفنية والأدبية إلى أحـدهـما دون الآخر، لذلك قرر بأنه إذا اختل أحدهما ضعف العمل الأدبي، وأصـبح خـالـيـا مـن القيـمـة الجـمـلية والفنية ، لأن القيمة إنما تنبع من تلاؤم هـذه العـنـاصـر فـي العـمـل الأدبـي.
وبعد أن تـحـدث ابـن رشـيـق عـن قوة الارتباط بين اللفظ على المعنى وضرورة تلازمهما في العمل الإبداعي، بينـمـا أن هـنـاك مـن يفـضـل اللفظ على المعنى، ومنهم من يفضل اللفظ على المعنى، ومنهم من يفضل المعنى على اللفظ فأورد مجموعة مـن الآراء عـلـى اختلاف اتجاهها بادئا بأنصار اللفظ الذين يفضلونه ويقدمونه على المعنى، يقول: " ثم للناس فيما بعد آراء ومذاهب: منهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايته، وهم فرق:

أ-قوم يذهبون إلى فخامة الكلام وجزالته على مذهب العرب من غير تصنع كقول بشار:

إذا مـا غـضـبـنـا غـضـبـة مـضـريـة هـتـكـنـا حـجـاب الشّـمـس أو قـطـرت دمـا

إذا مـا أعـرنـا سيّـدا مـن قـبـيـلـة ذرى مـنـبـر صـلـى عـلـيـنـا وسـلّـمـا

وهـذا الـنـوع أدل عـلـى القـوة، وأشبه بما وقـع فـيـه مـن مـوضـع الافـتـخار، وكذلك ما مدح به الملوك يجب أن يـكـون مـن هـذا الـنـحـت."(2)
ويتضـح مـن هـذا النص أن ابن رشيق يرى بأن ألفاظ هذه الأبيات فخمة وجزلة والمعاني قوية دون أن يتكلف الشاعر فـيـها، أو يتصنع، وهو يحبذ هذا الأسلوب الفني بشرط أن يكون مناسبا للغرض الذي يقال فيه، ويرى أن الفـخـر، والمـدح أنـسـب الأغـراض الشـعـريـة لـه.

1-أبو الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ج1،ص124
2-المصدر نفسه،ص124

"ب-أصحاب جلبة وقعقعة بلا طائل معنى إلا القليل النادر: ويقصد بكل هذا أن هناك بعض الشعراء يعتنون كثيرا بالألفاظ يختارونها ، وينقحونها ولكن معانيهم تختفي وسط القعقعات اللفظية.

وقد ضرب مثلا لهذا النوع بقول ابن هانئ:

" أصاخت فقالت: وقع أجرد شيظم وشامت فقالت: لمع أبيض مخدم

وما ذعرت إلا لجرس حليّها ولا رمقت إلا يرى في مخدم "(1)

وقد عاب ابن رشيق على هذا الفريق اختيارهم للألفاظ الصاخبة دون فائدة تذكر للمعنى الذي تحمله هذه الألفاظ، فالمعنى ضاع وسط هذه القعقعة، فيقول:" وليس تحت هذا كله إلا الفساد وخلاف المراد، ما الذي يفيدنا أن تكون هذه المنسوب بها ليست حليها فتوهمته بعد الإصاخة والرّمق وقع فرس أو لمع سيف ؟ غير أنها مغزوة في دارها أو جاهلة بمتا حملته من زينتها ولم يف عنا مراده أنها كانت تترقبه. فما هذا كله ؟ "(2)

ومن خلال هذا القول يتضح أن ابن رشيق نقد أسلوب أنصار اللفظ من حيث الألفاظ الرنانة التي يستخدمونها، والتي لا تحمل معنى ذا فائدة، ومن حيث عدم مناسبتها للغرض الذي تقال فيه.

ج-أما من ذهب إلى " سهولة اللفظ فعني بها واغتفر له فيها الركاكة واللين المفرط كأبي العتاهية والعباس بن الأحنف ومن تابعهما."(3)

ونستخلص من هذا النص أن هناك من يفضل سهولة الألفاظ ، وبساطتها ، وقد مثل لهذا الفريق بأبيات من قصيدة لأبي العتاهية:

" يا إخوتي إن الهوى قاتلي فيسروا الأكفان من عاجل
ولا تلوموا في اتباع الهوى فإنني في شغل شاغل
عيني على عتبة منهلة بدمعها المنسكب السائل

وقد ذكر ابن رشيق اعتراف أبي نواس والحسين الضحاك بتفوق أبي العتاهية، ويتضح هذا من قولهم: " أما مع سهولة هذه الألفاظ وملاحة هذا القصد وحسن هذه الإشارات فلا ننشد شيئا."(4)
وبسبب هذه العلاقة الحتمية بين اللفظ والمعنى اضطرب النقاد المغاربة أصيبوا بالحيرة والتردد في تحديد أيهما أفضل وأعلى قيمة قيمة في الإبداع الشعري، وهذا التردد والحيرة يدلان على مدى ترابط اللفظ والمعنى.

1-أبو الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني: العمدة ،ج1،ص124
2-المصدر نفسه،ص125
3-المصدر نفسه،ص126
4-المصدر نفسه،ص126

أما حازم القرطاجني فلم يهتم بقضية اللفظ والمعنى كعناية من سبقه من النقاد، ذلك أنه أكد أهمية التناسب بين أركـان العمل الشعري وأثره في إحداث التأثير في المتلقي أو ما يسمى بالتخييل الشعري. ومن أسس التي تقوم عليها فكـرة التناسب عنـده هـي مسألة التركيب اللغوي للصورة المتخيلة، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال التناسب بين اللفظ والمعنى ، فـإن أفضل الشعر هو ما أوقع مبدعه نسبا فائقة بين معانيه وصوره، ولا بد من أن يؤثر مثل ذلك في المتلقي أكثر من غيره.(1)

3-قضيـة الطبـع والصنـعة:

اهتـم العرب بقضية الطبع والصنعة، وجعلوها أساس بحثهم، ودرسوها على أساس المقابلة بين الطبع والموهبة من جهة وبين الصنعة والتكلف من جهة أخرى، وقد أوضح النقاد أثر الموهبة في الإنتاج الأدبي، ولكنهم رأوا أن الموهبة وحدها لا تكفي في عملية الإبداع، " بل لا بد من الدربة والمرن، وطول الممارسة وسعة الإطلاع ، والحفظ لروائع الشعر. " (2)

وعالج النقاد المغاربة قضية الطبع والصنعة ، وخصوها بالبحث والدراسة، ونذكر منهم: أبا اسحاق الحصري، وابن رشيق القيرواني، وابن شرف القيرواني، وحازم القرطاجني، وأبا محمد القاسم السجلماسي.

تحدث أبو اسحاق الحصري عن قضية الطبع والصنعة، وأورد جانبا كبيرا من الأخبار التي تتعلق بها، يقول: " الكلام الجيد الطبع مقبول في السمع، قريب المصال بعيد المنال، أنيق الديباجة، رقيق الزجاجة، يدنومن فهم سامعه كدنوه من فهم صانعه، والمصنوع مثقف الكعوب، معتدل الأنبوب، يطرد ماء البديع على جنباته، ويجول رونق الحسن في صفحاته كما يجول السحر في الطرف الكحيل، والأثر في السيف الصقيل، وحمل الصانع شعره على الاكراه في التعمل وتنقيح المباني دون إصلاح المعاني يعطي أثر صنعته ويطفئ أنوار صيغته، ويخرجه إلى فتساد التعسف، وقبح التكلف، وإلقاء المطبوع بيده على قبول ما يبعثه هاجسه، وتنفسه وساوسه، من غير أعمال النظر، وتدقيق الفكر يخرجه إلى حد المشتهر الرث، وحيز الغث، وأحسن ما أجرى إليه، وأعول عليه التوسط بين الحالين، والمنزلة بين المنزلتين ، من الطبع والصنعة."(3)

يشير الحصري في هذا النص إلى نوعين من الشعر: مطبوع ومصنوع، فالمطبوع هو الكلام الجيد الذي يقبله السمع لرقة ألفاظه ومعانيه، أما المصنوع فهو الكلام الذي أخذه صاحبه بالتجويد والتنقيح، وأكثر فيه الصور البيانية والبديعية، إلا أنه ينبغي لصاحب المطبوع ألا يقبل كل ما يهج سبه خاطره من غير إمعان النظر والفكر وينتهي الحصري إلى التوسط في مسألة الطبع والصنعة.

كما تعرض ابن رشيق لدراسة قضيـة الطبع والصنعة ، وخصـها بباب مستقل في كتابه العمدة ، استهله بالحديث عن حد الشعر المطبوع والمصنوع، يقول:" المطبوع هو الأصل الذي وضع أولا، وعليه المدار، والمصنوع وإن وقع عليه هذا الإسم، فليس متكلفا تكلف أشعار المولدين، لكن وقع فيه بهذا النوع الذي سموه الصنعة من غير قصد ولا تعمل، لكن بطباع القوم عفوا، فاستحسنوه، ومالوا إليه بعض الميل، بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره، حتى صنع زهير الحوليات على وجه التنقيح والتثقيف، يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفا من التعقب."(4)

1-ينظر:عثمان موافي:في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم،ج1،ص30

2-سامي يوسف أبو زيد:النقد العربي القديم،ص113

3-محمد مرتاض:النقد الأدبي القديم في المعرب العربي،ص126

4-ابن رشيق:العمدة،ج1،ص129

يتضح من هذا النص أن الشعر عند ابن رشيق ثلاثة أنواع: الشعر المطبوع، الشعر المصنوع، الشعر المتكلف. الشعر المطبوع هو الأصل الذي يدور عليه الكلام لأنه يصدر عن نفس صادقة قادرة على قول الشعر على سجيتها دون تكلف، أي قول الشعر بكل سهولة دون تكلف مع التخلي عن وشي الصنعة وزخرفته.

فالطبع عند ابن رشيق هو الأساس الذي ينبغي أن يقوم عليه النص الأدبي فإذا كان بيت الشعر يشبه بيت البناء، فإن الطبع قرار هذا البيت.(1)

أما النوع الثاني فهو الشعر المصنوع المهذب وهو الشعر الذي اعتنى به صاحبه وحرص على تنقيحه والنظر فيه فيبدل أو يغير بعض الألفاظ والعبارات ولكن دون أن يجهد نفسه في البحث عن الصور البيانية والمحسنات البديعية ، دون أن يصل إلى حد التكلف والمبالغة في التصنيع وخير مثال على هذا النوع شعر زهير، فقد كان" يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفا من التعقيب."(2) وبالتالي فإن ابن رشيق يرى أن الشعراء القدماء كانوا يقصدون إلى الزخرفة اللفظية قصدا، ولا يصل بهم الأمر إلى حذف كلمات أو إضافة أخرى بحثا عن الجناس أو الطباق والتقابل كما يصنع الشعراء المولدين، الذين جعلوا المحسنات اللفظية هدفا يسعون إليه بعد أن كانت وسيلة لخدمة الصياغة الأدبية، يقول:" والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل فتترك لفظة للفظة أو معنى لمعنى كما يفعل المحدثون، ولكن نظرها في فصاحة الكلام،وجزالته، وبسط المعنى، وابرازه وإتقان بنية الشعر وإحكام عقد القوافي وتلاحم الكلام بعضه ببعض."(3) يوضح ابن رشيق في هذا النص، أن العرب المتقدمين كان شغلهم يتجه إلى وضوح الكلام وقوته، وإظهار المعنى وإحكام بنية الشعر، حيث توضع كل لفظة مكانها المناسب، والقافية غير مستكرهة بل يستدعيها المعنى، والكلام يجب أن يكون منسقا متلاحما لا تنافر فيه.

1-ينظر: ابن رشيق: العمدة، ص121

2-المصدر نفسه،ص129

3-المصدر نفسه،ص129

ثـم يـذهـب ابن رشيق إلـى القـول أن النقـاد يقـبلون الصـنعة فـي الشعـر شرط أن تـأتي في بيت أو بيتين في القصيدة ، فـتـدل عـلى جودة صـاحبها وإحساسه الصادق، وذهـنـه الصافي كما تظهر براعته. أما إذا كثرت هذه الصنعة فإنها تؤدي إلى النفور وتصبح عيبا يشهد بخلاف الطبع،يقول: " واستطـرفوا ما جاء من الصنعة نحـو البيت والبيتين فـي القـصـيـدة بين القـصـائـد،يستـدل بـذلك على جودة شعر الرجل، وصدق حسه وصفاء خاطره، فأما إذا أكثر ذلك فهو عيب يشهد بخلاف الطبع وإيثار الكلفة."(1)

كـمـا تحـدث ابن رشيـق عن الصنعة عند المحدثين فقال: " وليس يتجه البتة أن يأتي من الشاعر قصيدة كلها أو أكثر متصنع من غير قصد كـالذي يأتي مـن أشعار حبيب والبحتري وغيرهما وقد كان يطلبان الصنعة ويولعان بها."(2)

فـابـن رشـيـق يـرى أنـه لا يمكن أن تـأتي قصيدة بأكملها متصنعة من غير تعمد وقصد لـهذه الصنعة،ولكن هذا حـدث فـي أشعـار الطـائيين، وقـد كانا يسيعيان نحو الصنعة بشغف كبير فيقول: " وأما حبيب (أبو تمام) فـيـذهـب إلـى حـزونة اللفظ ومـا يملأ الأسماع منه، مع التصنيع المحكم طوعا وكرها، ويأتي للأشياء من بعد ويطـلبهـا بكلفـة ويأخذهـا بـقـوة، وأمـا البحـتـري فـكـان أملح الصـنعة وأحسن مذهبا في الكلام يسل منه دماثة وسهولة مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة."(3)

فـابـن رشيـق يقـر أن أبـا تـمـام والبـحـتري من أصحاب الصنعة، ولكنه وازن بينهما وتوصل إلى أن صنعة البحـتـري طـريفـة لا كلفة ولا مشقة فيها، أما أبا تمام فإن صنعته متكلفة ولذلك فهو يمثل الإفراط في التصنيع ولكن حكم ابن رشيق إذا كان ينطبق عـلى أبـي تمام فـإنه لا ينطبق على البحتري، لأن أكثر النقاد أجمعوا على أن البحـتـري هـو إمـام أهـل الطـبـع مـن المحـدثين، وحـامل لواء الشعر المطبوع ، ولكن هذا لا يعني أن شعر البحتري لا يحتوي على الصنعة فطلبه لألوان البديع،واعـتـكـافـه عـلى شعره بالتنقيح والتجويد والتهذيب نوعا من ممارسة الصنعة في الشعر؛ ولكنها تبقى صنعة خفيفة يطغى عـليهـا الطـبـع ، وبـالتالي فهو لم يفرط كثيرا في استخدام التصنيع لذلك لم تظهر على شعره الكلفة والمشقة.(4)

1-ابن رشيق:العمدة، ج1، ص130

2-المصدر نفسه،ص131

3-المصدر نفسه،ص131

4-ينظر:محمد الربداوي: الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت، ص390

ويخلص ابن رشيق إلى أن شعرية النص تكمن في الجمع بين المطبوع والمصنوع، لهذا طلب إلى الشاعر استخدام الصنعة الخفيفة اللطيفة، وأن يبتعد عن التكلف والتعمل كي لا ينقلب الخطاب الشعري إلى تكلف ظاهر ثقيل عار من بعض الوجوه البلاغية التي تميز الكلام الأدبي عن سواه، ومن هنا فقد وقف ابن رشيق في قضية الطبع والصنعة موقفا وسطا ، فلم يقدم الطبع على الصنعة ولا الصنعة على الطبع، وإنما رأى أن العملية الإبداعية في الشعر إنما تنطلق من الطبع والموهبة ثم تنقح وتهذب عن طريق الصنعة الخفيفة التي تحافظ على رونق الشعر وقوة الطبع.

أما حازم القرطاجني ، فقد درس قضية الطبع والصنعة ، فتحدث عن النظم ، ورأى أنه يرتبط بعملية الإبداع الشعري، يقول: " النظم صناعة آلتها الطبع، والطبع هو استكمال للنفس في فهم أسرار الكلام، والبصيرة بالمذاهب والأغراض التي من شأن الكلام بحسبه عملا وكان النفود في مقاصد النظم وأغراضه وحسن التصرف في مذاهبه وأنحائه إنما يكون بقوة فكرية واهتداءات خاطرية تتفاوت فيها أفكار الشعراء."(1) فالنظم عند حازم آلته الطبع وهو يشمل العمل الأدبي منذ بدء تصور المبدع له، واستحضار معانيه، وانتقاء عبارته، ووصف ألفاظه إلى اختيار ألفاظه وقوافيه.

أما محمد بن شرف القيرواني لم يفرد لقضية الطبع والصنعة بابا خاصا في رسالته (مسائل الإنتقاد)، وإنما تعرض لها بايجاز عند حديثه عن الشعراء الذين تناولهم بالدراسة والنقد فقال: " فشعر الشيخ أبو عقيل ينطق بلسان الجزالة عن جنان الأصالة ، فلا تسمع له إلا كلاما فصيحا، ومعنى متينا صحيحا، أما العباس بن الأحنف فقد رقق الشفق كلامه، وتققت قوة الطبع نظامه، فله رقة العشاق، وجودة الحذاق."(2)

يتضح مما تقدم أن ابن شرف قسم الشعراء إلى قسمين: قسم خاص بالشعراء المطبوعين ، والثاني خاص بشعراء الصنعة ، ويبدو أن ابن شرف كان معجبا بالشعراء المطبوعين ، لان شعرهم ينساب كالماء الزلال، لرقة ألفاظه وفصاحة كلامه، وقد خالف ابن شرف ابن رشيق في حكمه على شعر البحتري ، ذلك أن ابن رشيق جعل البحتري من شعراء الصنعة الخفيفة، بينما جعله ابن شرف من الشعراء المطبوعين، ورأى أن لفظه" ماء ثجاج ودرّ رجراج، ومعناه سراج وهّاج على أهدى منهاج يسبقه شعره إلى ما يجيش به صدره، إن شربته أرواك ، وإن قدحته أوراك، طبع لا تكلف يعيبه، ولا عناد يثنيه."(3)

1-عثمان موافي:في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم،ج1،ص35

2-محمد مرتاض:النقد الأدبي القديم في المغرب العربي،ص126

3-المرجع نفسه،ص127

وعلى الرغم من انتصاره للشعراء المطبوعين وولعه بشعرهم، لم يخف ابن شرف إعجابه بطريقة الشعراء أصحاب الصنعة فهو حين تحدث عن مسلم بن الوليد الذي رأى أن كلامه" مرصع ونظامه مصنع، وغزله مستعذب ومستغرب، وجملة شعره صحيحة الأصول، مصنعة الفصول قليلة الفضول."(1)

وأما أبو تمام " فمتكلف إلا أنه يصيب ، ومتعب ، لكن له من الراحة نصيب، وشغله المطابقة والتجنيس، وفي شعره علم جم من النسب، وخصلة وافرة من أيام العرب، وطارت له أمثال، وحفظت له أقوال، وديوانه مقروّ وشعر متلوّ "(2)وهكذا وازن ابن شرف بين الشعراء المطبوعين وبين الشعراء أصحاب الصنعة، فالمطبوع عمل يقوم على العفوية والتلقائية، ويقوم على فصاحة الكلام وجزالته، وبساطة معانيه ليؤدي وظيفته المتمثلة في التوضيح والإبانة، وأما المصنوع، فيتمثل في الاكثار من المحسنات البديعية ، وهو ضرب يمثله مسلم بن الوليد، وأبو تمام وعلى الرغم من أن ابن شرف حاول التوفيق بين المطبوع والمصنوع، إلا أنه مع ذلك لم يخف انتصاره للمطبوع واعجابه بشعرائه، وخاصة البحتري الذي نهج طريقة الأولئل وحافظ على عمود الشعر، ويظهر هذا في نقده لافتتاحيات شعر أبي تمام ، فيقول: " ومما يعاب من شعر الافتتاحيات الثقيلة، مثل قول حبيب(يعني أبي تمام) أول قصيدة:

" هن عوادي يوسف وصواحيه فعزما فقدما أدرك السؤال طالبه "(3)

يشير ابن شرف إلى أن أبا تمام ولع بالصنعة، فوقع فتي مثل هذه الابتداءات.

1-محمد مرتاض: النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، ص128

2-المرجع نفسه،128

3-المرجع نفسه،ص129

4-قضيـة السرقـات الشعريـة:

تـعد هـذه القـضيـة مـن أكـثر القضايا التي عرفها الأدب العربي منذ العصر الجاهلي، وأول من تفطن إلى سرقات الشعراء الجاهليين هو ابن سلام الجمحي ، وقد أشار إليها في كتابه (طبقات فحول الشعراء) ، وابن المعتز أيضا تحدث عن هذه القضية ، وقد أشار إليها في كتابيه (طبقات الشعراء و البديع) ، أما ابن طباطبا فقد تعرض لها في كتابه (عيار الشعر) ، والآمدي أيضا أفرد بحوثا كثيترة لهذه القضية ، وأقر أن السرقة تكون في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر، وعبد العزيز الجرجاني تحدث عن هذا الموضوع في كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه) ، وأقر هو أيضا بوجود السرقة ، ولكن الشاعر حسب تصوره بإمكانه أن ينفرد بالمعنى المبتكر إذا نجح في اختيار ألفاظه وترتيبها ، وخصوصيته في الزيادة عليها وتهذيبها، مما يجعل له استحقاق معناه والتفرد به عن غيره، كلها آراء نقدية تتعلق بالنقاد المشارقة ، الذين انقسموا إلى مذاهب كل يبرر هذه القضية.(1)

وقد اهتم نقاد بلاد المغرب بهذه القضية وتحدثوا عنها في مصنفاتهم، فعبد الكريم النهشلي يرى أن السرقة في الشعر " ما نقل معناه دون لفظه، وأبعد في أخذه، ... والسرق أيضا إنما هو البديع المخترع الذي يختص به الشاعر ، لا في المعاني المشتركة التي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم، مما ترفع الظنون فيه عن الذي يورده أن يقال إنه أخذه من غيره قال: واتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز، وتركه كل معنى سبق إليه جهل، ولكن المختار له عندي أوسط الحالات."(2)

وهو بهذا القول قد كرر آراء السابقين ، فذهب إلى أن المتفق عليه هو أن السرق ما نقل معناه دون لفظه وكان مبعدا في الأخذ.(3)

وقد فصل ابن رشيق الحديث عن هذه القضية، فدرسها في مؤلفين هما : قراضة الذهب والعمدة، حيث أفرد لها كتابه الأول بأكمله، في حين خصص لدراستها ثلاثة أبواب في كتابه الثاني ، وقد نهج ابن رشيق في دراسته للسرقات الشعرية منهجا استوعب فيه جميع الأفكار التي سبقته ، كما أضاف إليها نظرات خاصة ومبتكرة لها قيمتها النقدية.(4)

1-ينظر:سامي يوسف أبو زيد:النقد العربي القديم، ص101و140

2-ابن رشيق القيرواني: العمدة، ج1، ص928و929

3-ينظر:احسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب،ص449

4-ينظر:سامي يوسف أبو زيد: النقد العربي القديم، ص283

ودراسة ابن رشيق لمسألة السرقات في كتابه العمدة جاءت في ثلاثة أبواب:اثنان منهما يمكن أن نعتبرهما مدخل لدراسة السرقات وهما: باب المخترع والبتديع، وباب الاشتراك ، أما الباب الثالث فقد خصه لدراسة السرقات دراسة مفصلة ، وهو باب السرقات وما شاكلها ، وقد عمد ابن رشيق في الباب الأول إلى الحديث عن المخترع ، أي المعنى الجديد الذي لم يسبق إليه أحد صاحبه، ولقد مثل له بقول امرئ القيس:

" سموت إليها بعدما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال

(فامرؤ القيس حسب ابن رشيق) " له اختراعات كثيرة يضيف عنها الموضع ، وهو أول الناس اختراعا في الشعر وأكثرهم توليدا."(1) وهذا لا يعده ابن رشيق سرقة ما دام الشاعر سبق إلى معنى جديد لم يسبقه إليه أحد.

أما التوليد فهو استخراج معنى من معنى آخر أي اقتداء الشاعر بغيره ، ويرى ابن رشيق أنه لا يعد سرقة إذا كان ليس آخذا على وجهه.(2) ومن صوره قول جرير يصف الخيل :

" يخرجن من مستطير النّقع دامية كأنّ آذانها أطراف أقلام

فقال عدي بن الرقاع يصف قرن الغزال :

تزجي أغنّ كأنّ إبرة روقه قلم أصاب من الدّواة مدادها "(3)

وقد علق عليه بقوله: " فولد بعد ذكر القلم إصابته مداد الدواة بما يقتضيه المعنى إذ كان القرن أسود."(4)

1-ابن رشيق: العمدة،ج1،ص175

2-المصدر نفسه،ص260

3-المصدر نفسه،ص264

4-المصدر نفسه،ص264

وقـال الـعـمـانـي الـراجـز بين يـدي الـرشيد يـصـف الفـرس:

" تخـال أذنيه إذا تـشـوّفا قـادمـة أو قـلـمـا مـحـرفـا "(1)

ونـلاحـظ أنـه ولـد بذكر التحريف في القلم وهو زيادة صفة (2)، وغيرها من الأمثلة التي ذكرها ابن رشيق عن التوليد، ويرى أن أكثر المولدين اختراعا وتوليدا أبو تمام وابن الرومي.

وأمـا مـدخـلا، ومحـورا لـدراسة السـرقات عند ابن رشيق هو باب الاشتراك، وقد ذكر أن الاشتراك نوعان: اشتراك في اللفظ واشتراك في المعنى، فأما الاشتراك في اللفظ فهو ثلاثة أنواع:

النـوع الأول: أن يـكـون اللفـظـان راجـعـيـن إلى حد واحد ومأخوذين من حد واحد، وهذا يعتبره ابن رشيق اشـتراك محمود، أما النوع الثاني: أن يكون اللفظ يحتمل تأويلين أحدهما يلائم المعنى الذي أنت فيه والآخر لا يلائمه ولا دليل فيه على المراد (3) ، كقول الفرزدق:

" وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حيّ أبوه يقاربه " (4)

ويعلق ابن رشيق على هذا البيت بقوله: " فقوله حي يختمل القبيلة، ويحتمل الواحد الحي وهذا الاشتراك مذموم قبيح. "(5)

1-ابن رشيق: العمدة،ج1،ص264

2-ينظر: المصدر نفسه،ص264

3-ينظر:المصدر نفسه،ج2،ص96

4-المصدر نفسه،ص96

5-المصدر نفسه،ص96

أما الاشتراك المحمود نجده في قول كثير :

" لعمري لقد حبّبت كلّ قصيرة إليّ وما تدري بذاك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد قصار الخطا شرّ النساء البحاتر "(1)

ويعلق ابن رشيق بقوله: " فأنت ترى فطنته لما أحس بالاشتراك كيف نفاه، وأعرب عن معناه الذي نحا إليه."(2)

وأما النوع الثالث: ليس من هذا في شيء وهو سائر الألفاظ المبتذلة للتكلم بها ، لا يسمى تناولها سرقة ولا تداولها اتباعا لأنها مشتركة لا أحد من الناس أولى بها من الآخر فهي مباحة غير محظورة ، إلا أن تدخلها أو تصحبها قرينة تحدث فيها المعنى (3)،ومن ذلك قول الأبيرد اليربوعي يرثي أخاه :

" وقد كنت أستعفي الإله إذا اشتكى من الأجر لي فيه وإن عظم الأجر"(4)

وقول أبي نواس في صفة الخمر:

" ترى العين تستعفيك من لمعانها وتحسر حتى ما تقل جفنها "(5)

علق عليه ابن رشيق بقوله:" فهو المشترك الذي لا يعد سرقة."(6)

1-ابن رشبق: العمدة ، ج2،ص96

2-المصدر نفسه،ص96

3-ينظر:المصدر نفسه،ص96و97

4-المصدر نفسه،ص98

5-المصدر نفسه،ص98

6-المصدر نفسه،ص98

وبعد أن تنـاول ابـن رشيـق الاشتـراك فـي الـلفـظ ودرسـه، تحـدث عن الاشتراك في المعاني وهو عنده أيـضـا نـوعـان:

أولـهـما: " أن يشـتـرك المعنيان وتختلف العبارة عنـهما فيتباعد اللفظان. " (1) وهذا النوع من الاشتراك يستحسنه ابن رشيق ومثل له بقول امرئ القيس:

" كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير محلل" (2)

وقول غيلان ذي الرمة:

" نجلاء في برج صفراء في نعج كأنها فضة قد مسها ذهب"(3)

قـد علق ابن رشيق بقوله: " فوصف جميعا لونـا بعينه: فشبهه الأول بلون بيضه النعام وشبهه الثاني بلون الفضـة قـد خالطـها الذهـب يسـيـرا ، ولذلك قـال:(قد مـسـهـا) "(4)

وأمـا النـوع الثـانـي فـهـو عـنـده عـلـى ضـربين: " أحدهـما مـا يوجد في الطباع من تشبيه الجاهل بالثور والحمـار والحـسـن بالشمس والقمر والشجاع بالأسد ... لأن النـاس كلهم الفصيح، والأعجم، والناطق، والأبكم فيه سواء؛ لأن نجده مركبا في الخليقة أولا، والآخر ضربا كان مخترعا ثم كثر حتى استوى فيه النـاس وتواطأ عليه الشعراء آخرا عن أول نحو قولهم: في صفة الخد(كالورد) "(5)

هذا النوع كان في الحقيقة مخترعا ثم تساوى النـاس فيه، إلى أن يولد أحد من الشعراء فيه زيادة أو يخصه بقرينـة، عندئذ يستحق الانفراد به على باقي الشعراء.(6)

1-ابن رشيق:العمدة، ج2،ص98

2-المصدر نفسه،ص98

3-المصدر نفسه،ص98

4-المصدر نفسه،ص98و99

5-المصدر نفسه،ص100

6-المصدر نفسه،ص100

ونخلص من كل ماسبق أن ابن رشيق قسم الاشتراك إلى نوعين: اشتراك ألفاظ واشتراك معاني ، وجعل النوع الأول في ثلاثة أنواع ، أما الثاني في نوعين، وقد عدّ هذا الباب بمثابة مدخل لدراسة السرقات الأدبية وما شاكلها .

وقد استهل ابن رشيق حديثه عن قضية السرقات الشعرية بالإشارة إلى طبيعة هذه القضية ، حيث صرح أنه موضوع واسع جدا ولا يستطيع أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه، لأن السرقة فيها أشياء غامضة لا يستطيع كشفها إلا البصير بصناعة الشعر ونقده.(1)

وقد عرض ابن رشيق آراء سابقيه، فهو لا يصدر رأيه إلا بعد تفحص وجهات نظرهم مع مراعاة أذواقهم، وقد تراوح تقييمه لهذه الآراء بين الثناء وإكمال النقص وإبراز العيب.

وأما الثناء فقد كان من نصيب الجرجاني فقد أعجب ابن رشيق برأيه فهو عنده " أصح مذهبا وأكثر تحقيقا من كثير ممن نظر في هذا الشأن."(2)

وأما إتمام النقص فقد كان من نصيب الحاتمي الذي أخذ عليه ابن رشيق إسرافه في استخدام مصطلحات السرقة المتداخلة إلى حد بعيد كالإصطراف والاجتلاب، والانتحال، والاهتدام، والاستلحاق... وغيرها من المصطلحات، وقد أكمل ابن رشيق هذا النقص، وقام بتحديد تلك المصطلحات والتفريق بينها، والتأكيد ذلك بالأمثلة مما يدل على دقته كناقد منهجي يدرك قيمة ووضوح المصطلح في النقد.(3)

وقد وصف ابن رشيق المصطلحات التي أتى بها الحاتمي بأنها: " ألقاب محدثة ليس لها محصول إذا حققت... وكلها قريب من القريب وقد استعمل بعضها في مكان بعض."(4)

1-ابن رشيق:العمدة،ج2،ص280

2-سامي يوسف أبو زيد:النقد العربي القديم،ص284

3-ينظر:المرجع نفسه،ص285

4-ابن رشيق:العمدة،ج2،ص280

وقد عمل ابن رشيق على ابراز أنواع السرقات وحاول تفسير المصطلحات المنبثقة عن مصطلح السرقة، فقسم السرقة إلى ثلاثة أقسام:*سرقة اللفظ مع المعنى

***سرقة المعنى مع تغيير بعض اللفظ**

***سرقة تعتمد على تغيير بعض المعنى أو قلبه**

ومن هذه الأنواع تتولد مصطلحات لأوجه السرقات ، يفسرها ابن رشيق في كتابه العمدة وهي كما يلي:

1-الإصطراف: هو أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر، فيصرفه إلى نفسه، فإن صرفه إليه على جهة المثل فهو اجتلاب واستلحاق ، فإذا ادعاه فهو انتحال ، ولا يقال منتحل لمن ادعى شعرا لغيره، وهو يقول الشعر ، وأما إن كان لا يقول الشعر فهو مبدع غير منتحل.(1)

2-الإغارة: أن يضع الشاعر بيتا أو يخترع معنى صحيحا فيتناوله من هو أعظم منه ذكرا وأبعد صوتا فيروب له دون قائله ، كما صنع الفرزدق بجميل وقد سمعه ينشد:

" ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا"(2)

فقال القرزدق: " متى كان الملك في بني عذرة؟ إنما هو في مضر وأنا شاعرها، فغلب الفرزدق على البيت، ولم يتركه جميل ولا أسقطه من شعره."(3)

3-المرادفة: هي أن يعين الشاعر صاحبه بالأبيات يهبها له ، كما أعان جرير ذا الرّمة على هشام المرئي، حيث طلب منه الفرزدق أن ينشد له مقالا في هشام المرئي فأنشده قصيدته:

" نيت عيناك عن طلل بحزوى محته الرّيح وامتنح القطارا

فقال له الفرزدق ألا أعينك ؟ قال: بلى بأبي وأمي قال: قال له:

" يعد الناسبون إلى تميم بيوت المجد أربعة كبارا

يعدّون الرّباب وآل سعد وعمرا ثم حنظلة الخارا

ويهلك بينها المرئي لغوا كما ألغيت في الدّية الحوارا "(4)

1-ينظر:احسان عباس:تاريخ النقد الأدبي عند العرب،ص464
2-ابن رشيق:العمدة،ج2،ص284
3-المصدر نفسه،ص284و285
4-المصدر نفسه،ص285 و 286

4-الإختـتـلاس: وهـو أن يأخـذ الشاعـر المعـنى وينقله من الغرض الذي جاء فيه إلى غرض آخر، كنقل المعنى من غرض الغزل إلى المديح، نحو قول أبي نواس:

" ملك تصور في القلوب مثاله فكأنه لم يخل منه مكان "(1)

وقد اختلسه من قول كثير:

" أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي ليلى بكلّ سبيل "(2)

5-التـلـفـيق: وهو أن يأخذ الشاعر المعاني المتقاربة ويستخرج منها معنى مؤكدا يكون له كالإختراع ، وينظر به جميعها فيكون وحده مقام جماعة من الشعراء وهو يدل على حذق الشاعر وفطنته.(3) وهـكـذا يـكـون ابن رشيق قام بدراسة السرقات الشعرية دراسة موسعة في كتابه (العمدة) حاول مـن خلاله إعطاء مفاهيم ينظّر بها لهذه القضية، والفصل بين ما اعتبره سرقة حقيقية، وما اعـتـبـرهـا معـاني متداولة ، وغير ذلك من أنواع السرقات والأخذ.

وكمـا كـان لابـن رشـيـق رأي فـي هـذه القـضـية ، فلابن شرف رأي كذلك ، فهو لم يتعرض إلى السرقة في الشعربصورة مباشرة ، وإنما تعرض لها من خلال تطرقه لعيوب الشعر، يقول: " ومن عيوب الشعر السارق، وهو كثير الأجناس في شعر الناس، فمنها: سرقة الألفاظ، ومنهـا سـرقـة مـعـان، وسـرقـة المـعاني أكثر، لأنها أخفى من الألفاظ، ومنها سرقة المعنى كله، ومـنـهـا سـرقـة بعض مـنـه ومـنـهـا مـسروق باختصار في اللفظ، وزيادة في المعنى، وهو أحسن السرقات ، ومـنـهـا مـسـروق بـزيـادة ألفـاظ، وقصور عن المعنى وهو أقبحها، ومنها سرقة محضة بلا زيادة ولا نقص، والفضل في ذلك للمسروق منه، ولا شيء للسارق."(4)يـقـرر ابـن رشيق في نصه هذا ، أن السرقة عيب من عيوب الشعر، لأن الشاعر الذي يهـوى اخـتـلاس المعاني هو شاعر عديم الموهبة، وقد حدد ابن شرف في هذا النص أنواع السرقة وهـي سـتـة يـتـداخل بعضـها بـبعض: سـرقة الألفاظ ، سـرقة المـعـنى كـلـه (سـرقـة المعـاني أكـثر لأنـهـا أخفى من الألفاظ)، سرقة المعنى بعضه، مسروق باخنصار في اللفظ وزيادة في المعنى (وهو أحسن السرقات)، مـسروق بـزيادة ألفاظ وقصور المعنى، سرقة محض بلا زيادة ولا نقص (والفضل في ذلك للمسروق منه، ولا شيء للسارق).فهو في هذا النص يحدد أن السرقة تلحق اللفظ، وقد تقع في المعاني وهو الشائع الذائع.

1-ابن رشيق: العمدة،ج2،ص288
2-المصدر نفسه،ص288
3-ينظر:احسان عباس:النقد الأدبي عند العرب،ص466
4-محمد مرتاض:النقد الأدبي القديم في المغرب العربي،ص110

تزخر منطقة المغرب العربي القديم بكوكبة من النقاد الأفذاذ، والمؤلفات النقدية المتميزة، التي تنوعت بتنوع اتجاهات صانعيها، ومن بين النقاد الذين عرفتهم هذه المنطقة،وكانت لهم إسهامات متفردة في ميدان النقد القزاز القيرواني في كتابه (ما يجوز للشاعر في الضرورة) باعتباره الكتاب الوحيد الذي يترجم لنا شخصية القزاز النقدية بحكم ضياع جل مؤلفاته ، وهذا ما دفعني لاختيار هذا الكتاب.

القزاز القيرواني: حياته وآثاره

أولا:التعريف بالقزاز القيرواني

أ-مولده ووفاته:هو أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي المعروف بالقزاز القيرواني، كان الغالب عليه علم النحو واللغة و الافتنان في التأليف.(1)، وقد جاء في كتاب (هدية العارفين) أنه ولد سنة 342هـ(2)، أما بقية المصادر التي اعتمدت عليها لا تذكر متى ولد، ويذكر ياقوت الحموي أنه قارب التسعين مما يعني أنه ولد في حدود سنة 322هـ(3)، بحكم أن جميع المصادر تجمع على تاريخ وفاته سنة412هـ بالقيروان، وحتى محقق كتاب (ما يجوز للشاعر في الضرورة) المنجي الكعبي يقر بهذا ويؤكده.(4)

" والقزاز: بفتح القاف وزايين بينهما والأولى منهما مشددة، هذه النسبة إلى عمل القز وبيعه، وقد اشتهر به جماعة."(5)

ب-شيوخه:تلقى القزاز العلم على أيدي كثير من شيوخ عصره، لكن ضياع كثير من مؤلفاته عسر معرفتهم،فمثل القزاز ومن جاء قبله وبعده، لا ينكرون فضل شيوخهم، فهم يذكرونهم بين الفينة والأخرى في كتبهم .

والغريب أن المصادر لا تذكر اسما من أسماء شيوخه سوى شيخ ذكره هو في كتابه (ما يجوز للشاعر في الضرورة) اسمه (أبو علي الحسين بن ابراهيم الآمدي)؛ فقال:" وما هذه العيوب إلا كما حدثنا أبو علي الحسين بن إبراهيم الآمدي).(6)

1-ينظر:ابن خلكان:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تح: إحسان عباس، دار صادر،بيروت،مج4،ص374
2-ينظر:إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية،استانبول،سنة1955،مج2،ص61
3-ينظر:ياقوت الحموي:معجم الأدباء،تح:أحمد فريد رفاعي،مطبوعات دار مأمون بالقاهرة،ج18،سنة1936،ص105
4-ينظر:القزاز القيرواني:ما يجوز للشاعر في الضرورة،تح:المنجي الكعبي،الدار التونسية للنشر،تونس،ط2،ج1،ص71
5-ابن خلكان:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،مج4،ص386
6-القزاز القيرواني: ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص38

ج-تلاميذه:

-" الحسن بن رشيق القيرواني صاحب كتاب العمدة (ت463هـ).

-أبو القاسم عبد الرحمان محمد بن جعفر القزاز، وهذا ابنه الذي تركه من بعده فحمل علمه وأدبه وتلقى كثير من علماء عصره العلم على يده، ومن بينهم أبو عمرو عثمان بن أبي بكر السفاقسي."(1)

-"محمد بن أبي سعيد محمد،المعروف بابن شرف القيرواني (ت460هـ)

-مكي بن أبي طالب حموش بن محمد القيرواني (ت 437هـ)"(2)

د-منزلته العلمية: كان القزاز القيرواني لغويا نحويا شاعرا ناقدا فقيها، مولعا بالتأليف وصاحب حجة وبيان، بلغ به نبوغه أن هابه أقرانه من العلماء لعلمه، وتأثر به من حوله واستخلصه بعض الملوك والأمراء لمجالسهم والإشراف على الحركة العلمية في أقطارهم، قال عنه تلميذه ابن رشيق: " كان شيخا مهيبا عند الملوك والعلماء وخاصة الناس، محبوبا عند العامة، قليل الخوض إلا في علم الدين أو دنيا، يملك لسانه ملكا شديدا، وكان له شعر جيد مطبوع مصنوع ربما جاء به مفاكهة ومماحلة من الشعر من توليد المعاني وتوكيد المباني، عالما بمفاصل الكلام وفواصل النظام."(3)

هـ - مؤلفاته: للقزاز القيرواني العديد من المؤلفات نذكر منها:

-"كتاب أدب السّلطان والتأدب له (عشر مجلدات)،كتاب التعريض والتصريح،كتاب إعراب الدّريدية،كتاب شرح رسالة البلاغة،كتاب أبيات معان في شعر المتنبي،كتاب ما أخذ على المتنبي من اللّحن والغلط،كتاب الضاد والظّاء."(4)،"المفترق في النحو."(5)

1-القزاز القيرواني:ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص11

2-ياقوت الحموي:معجم الأدباء، ص37و167

3-المصدر نفسه،ص37

4-المصدر نفسه،ص109

5-إسماعيل باشا البغدادي:هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين،مج2،ص61

وقد أشار المنجي الكعبي إلى عدد من مؤلفات القزاز حين قال: " لقد قسّمنا الكتب التي ألفها القزاز، والتي وصلتنا أسماؤها وعددها 19 كتابا، قسّمت إلى كتب النحو، وأخرى في اللغة، وثالثة في الأدب عامة، وهي كتب تختلف في أحجامها ، ويقع بعضها في أجزاء."(1)

ومن هذه المؤلفات العديدة ما ظّل غير ثلاثة كتب، والباقية يجهل مصيرها، أما الكتب المتوفرة التي تحتفظ به فهارس المكتبات:

"-كتاب فيه ذكر شيء من الحلى للقزاز القيرواني، طبع صيدا،1922/1341

-كتاب العشرات للقزاز القيرواني،طبع صيدا،1925/1344

-كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة،طبع لأول مرة في تونس."(2)

ثانيا: كتاب ما يجوز للشّاعر في الضرورة

أ-بيانات الكتاب:

1-عنوان الكتاب: ما يجوز للشاعر في الضرورة

2-المؤلف: القزاز القيرواني، أبو عبد الله محمد بن جعفر

3-المحقق: المنجي الكعبي

4-عدد الصفحات: 286

5-الناشر: الدار التونسية – تونس-

6-سنة النشر: 1971

1-القزاز القيرواني:ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص11
2-المصدر نفسه،ص11

ب-موضوع الكتاب:

الكتـــاب كتاب نحو وبلاغة ونقد، يعالج مسألة الضرورة الشعرية، وما يجب على الشاعر إتباعه عند بناء القصيـــدة " ليكون له حجة لما يقع في شعره مما يضطر إليه؛ من استقامة قافية، أو وزن بيت، أو إصـلاح إعـــراب."(1)

وهـــو كتاب جمع فيه " هفـوات الشعـراء وأخطائهم اللغوية التي عابها عليهم اللغويون والنحاة وبعض النقـاد، وإيجـــاد العلل لهذه الأخطـــاء حتى يكون لها باب صحيح في لغـــة العرب."(2)

يبدأ الكتاب بمقدمة لمحقق الكتاب (المنجي الكعبي) ، يعرض فيها معلومات عن المؤلف وعن المخطوط.

أ-المـــؤلّف:

تطرق إلـــى سبب تسمية القزاز بهذا الإســـم، ورسم المحقق وجه القيروان في مرحلة القزاز، والصورة التي كانت عليها، وعلاقة الشيوخ بتلاميذهم، وركز على (ابن رشيق) تلميذ القزاز الذي نقل عنه ، وقدم رؤية حول القـزاز جعلت كثيرا من الباحثيـــن ستساءلـــون ويفكرون في المكانة التـــي اكتسبهـــا القزاز، وما هـي الأسبـــاب التي جعلت منه علمـــا من أعلام النقـــد ؟ ثم يعيدنـــا المحقق مرة أخرى إلى حياة القزاز ، وكيف كان مقربـــا عند الملـــوك، ومن أبـــرزهم (المعـــز الدين الله).ثم ختـــم المحقق حديثـــه عن المؤلف بلحظة وفاتـــه والأثـــر الذي تركـــه في الأجيال التـــي تخرجت على يديـــه.

ب-المخطـــوط:

تعـرض إلى عنـــوان الكتاب قبـــل التعريف بالقزاز ، وبين الفرق بين مصطلحي (ضرورات وضرائر)، وقـــال: الأصـــح ضرورات، فهي جمع ضرورة .وينقلنـــا المحقق إلى النسخة المصورة من المخطوط التي قام عليهـــا التحقيـــق " والتـــــي تحمل رقم (8316 أدب) بدار الكتب المصرية. وهذه المصورة التي أخذت رقم (5157 أدب) أصبحـــت أصلا لهـــذا الكتاب منذ فقدت تلك المخطوطـــة من دار الكتب بعد سنة 1932، وهي السنـــة التي قدر أن تصـــور فيهـــا على ميكروفيلم احتياطا لضياعها."(3)، ثـــم قدم المحقق شرحا حول هذه النسخـــة المصـــورة وعدد صفحاتهـــا، وأطوال الصفحة والمساحة التي تحتلها الكتابـــة في الصفحات، ونوعية الخط الـــذي كتبت عليـــه، والخلل الذي اكتنـــف حروفهـــا.

1-القزاز القيرواني: ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص23
2-بشير خلدون: الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي،ص97
3-القزاز القيرواني: ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص11و12

ثـــم يعرض بعض النسخ التي أخذت عن المخطوط و نساخهـا، ويتكلم في الأخير عن الصعوبـــات التي تـزامنت مع مرحلـــة الطبع للمخطوطـــات.وقبل أن يختم كلامـــه عـــاد بنا إلى كيفية حصوله على المخطوط ، والدافـــع إلى تحقيقه، وذكـــر فضل أساتذته عليه ومن قدم لـــه يد العون في هذا العمـــل.

وفي ختـــام مقدمته يعتذر عمـــا قد يقع في الكتاب من أخطـــاء، فهو بشر يخطئ ويصيب، ومن مميزات المنجي الكعبـــي أنه مولع بإحياء التراث ويظهر ذلك في قوله: " وأملـــي أن أظل أخدم تراثنا خير خدمة، والله الهـــادي إلـــى سواء السبيـــل".(1)

1- القزاز القيرواني: ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص11و12

بعـد مقدمته يعرض لنـا المحقق " أمثلـة موضحة من الرمـوز والاختصاصـات و صورا من صفحـات المخطـوط وبعدها صـورا من صفحات التحقيـق بخط المحقق."(1) وقبـل أن أعرض فهرس الموضوعـات المتعلقـة بالكتاب، لا بـد أن أشير إلى الملاحق التي أضافهـا المحقـق ألا وهـي:

أ-كشاف بالضرورات الشعرية مرتبة على حروف الهجاء، وقد بين المحقق القصد من هذا الملحق بقوله: " هو يشتمل على الضرورات الواردة في كتاب(ما يجوز للشاعر في الضرورة) للقزاز القيرواني مع مقابلة مـا يوجد منها في كتابيّ (الضرائـر وما يجوز للشاعر في الضرورة) للألوسي مطبوع و(موارد البصائر في فوائـد الضرائـر) لإبن عبد الحليـم مخطوط بـدار الكتب رقم 60 أدب."(2) ويشتمـل هذا الملحق على (مـدار الضـرورة وعنوانهـا) وما يوافقها منهم عند كل صفحـة، وجعل اختصـارات لكل منهم وتتمثل في " (قـز) اختصـار للقـزاز و (أل) اختصـار للألوسـي و (حـل) اختصـار لإبن عبد الحليـم.(3)

ب-فهرس أسماء الشعراء وهو مرتب ترتيبا هجائيا، وقد وضع المحقق مفاتيح هذا الفهرس على الشكل التالـي: بدء البيت، القـافية، البحـر، الشاعـر، رقـم، صفحـة.

ج-فهرس أسماء الشعراء وغيرهم وتراجمهم وهو مرتب ترتيبا هجائيا.(4)

د-جدول مطابقة صفحات الأصل المخطوط بصفحات المطبوع

هـ-فهرس المصادر والمراجع.(5)

1-ينظر:القزاز القيرواني: ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص16و18
2-المصدر نفسه،ص201
3-المصدر نفسه،ص201
4-ينظر:المصدر نفسه،ص227و 249
5-ينظر:المصدر نفسه،ص268و 269

د-غرض الكتاب:

بدأ القزاز كتابه بمقدمة شرح فيها غرضه من التأليف، بقوله: " هذا كتاب أذكر فيه –إن شاء الله-ما يجوز للشاعـر عند الضرورة، من الزيـادة والنقصـان، والإتيـاع في سائر المعانـي من التقديـم والتأخير والقلب والإبـدال، وما يتصل بذلك من الحجـج عليه، وتبييـن ما يمر من معانيـه، فأرده إلى أصولـه، وأقيسـه على نظائـره."(1)

ولكن قبـل أن يحدثنـا القـزاز عن غرضه الحقيقي للكتـاب ،استوقفنا عند محطـات هي عبـارة عن تمهيد لمحتـوى الكتـاب وهـي:

مـا أخذ على الشعـراء من جهـة النحـو

مـا أخذ على الشعـراء من جهة فساد المعاني

مـا أخذ عليهـم من جهة الغلـط في الألفـاظ

مـا يجـوز في القـوافـي

وختـم كلامه بقوله: " وهذا كثير إن تقصيته طال الكتاب وخرج عما قصدته من الأختصـار ، ولكن ترجع إلـى ما أخرته مما يجوز للشـاعر في شعره ، إذ كان فيما ذكرنا كفاية، لمن أراد الاطلاع على عيوب الشعر. والله المستعـان وهو حسبنـا ونعـم الوكيـل."(2)

فبعد هذا ينقلنا القزاز إلى غرض الكتاب، وهو اختصار لمواضع الضرورة عنده كما ذكره، ويمكن تحديد هذه المواضع كالآتي:

-الزيـادة والنقصـان

-التقديـم والتـأخير

-القلـب والإبـدال

والملاحظ في كتاب القـزاز لم يلتزم هذا الترتيب في مواضيعه، فمرة يتحدث عن قلب المعنى ويأخذنا بعدها في الحديث عن الحذف وأنواعـه، ودون أن يكمل موضوعه حول الحذف يأخذنا مباشرة إلى التقديم والتأخير ثـم يعود إلى موضـوع الحذف مـرة أخرى وهكـذا.

1-القزاز القيرواني: ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص23
2-المصدر نفسه،ص59

هـ- منهـج الكتـاب:

اعتمد القـزاز على منهج وسط في التحليل، وهذه العملية تعتمد على ذكر الأمثلـة ثم استنباط القواعد منها واستخراج الشـاهد على الدراسة في الضـرورة الشعرية، وربطه بما يماثله من الشواهد في القـرآن الكريم والشعـر والحكـم والأمثـال؛ بـأسلوب بسيط ومختصر يفهمه المبتـدئ في النقـد.

والقزاز في كتـابه لم يتعصب لرأي، وكان يعرض الرأي ونقيضه، ويتسـامح مع الرأي الأضعف ما دام له وجـه في اللغـة العربيـة، ويرفض المستقبـح أو ما جاء على الغـلط عند الأوليـن.

و-تـأثر القزاز باللغويين والنحويين المشارقة:

تـأثر القزاز بثقافة اللغويين والنحويين المشارقـة ، فكانت له معهم صلات وثيقة جعلته يهتدي بآرائهم في كثيـر مما كتب، ومن بينهـــم:

سبـويه: (ت 179هـ)

تنـاول القـزاز موضوع الضرورة الشعرية بنفس الطريقة اتبعها سيبويه في كتابه، زيادة على ذلك وجود كثيـر من الأمثلـة التي أوردهـا سيبويه في كتابه، استعملها القـزاز مع الشرح نفسه، مع زيادة في التحليل لبعض المسائـل ، مع وجود اختلاف بين نظرة سيبويـه للضرورة الشعرية ونظرة القزاز.ويظهر الإتفاق في باب (ما يحتمل الشعـر) من كتاب (الكتـاب) للسبويه، نجد نفس الأمثلة ونفس الرؤية الموجودة في كتاب (ما يجوز للشاعـر في الضرورة).للقـزاز القيرواني تحت عنوان (حذف اليـاء من غير تنوين)(1) وتحت هـذا العنوان يقول القـزاز: " وممـا يجوز له أن الياء تحذف مـع التنوين في قولك: (قـاض وجـوار) وللشاعـر أن يحذفهـا مع غير تنوين، كأنـه يتوهم أن ذلك الحـذف أصل فيهـا."(2)

1-ينظر:مباركة خمقاتي:التحريف اللغوي في الشعر العربي القديم، رسالة دكتوراه،جامعة قاصدي مرباح، ورقلة،سنة 2011-2012،ص205

2-القزاز القيرواني:ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص109

ويقول سيبويه: " اعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام من صرف ما ينصرف، يشبهونه بما ينصرف من الأسمـــاء لأنها أسماء كما أنها أسماء، وحذف ما لا يحذف، يشبهونـــه بما قد حذف واستعمـــل محذوفـــا."(1) ونفس الشواهـد عند كليهمـــا:

قـــال خفـــاف بن ندبـــة السّلمـــي:

"كنـــواح ريش حمامـــة نجديـــة ومسحت اللّثتيـــن عصـــف الإثمـــد"(2)

والشـــاهد في هذا البيت لفظ (نـــواح) فحذف الياء وليس موضع التنويـــن، " وكان الوجه أن يقـــول: كنواحـــي ريش حمامـــة نجدية لأنه مضاف لا يدخلـــه التنويـــن."(3)

1-مباركة خمقاتي: التحريف اللغوي في الشعر العربي القديم،ص206

2-ينظر: القزاز القيرواني: المصدر نفسه،ص109 و مباركة خمقاتي: التحريف اللغوي في الشعر العربي القديم،ص206
3-القزاز القيرواني: المصدر نفسه،ص110

والمثـال والرؤية متطابقـة بين العالمين في هذا الشاهد وفي عدة شواهد أخرى، مع العلم أن الشواهـد الشعريـة التي عرضهـا سيبويه في كتابه والتي نقلها عنه القـزاز وأوردهـا في كتابه تحمل نفس التوجـه ونـفس الـرأي.

فمثـلا في باب (ما رخّمت الشعـراء في غير النداء اضطرارا) من كتاب (الكتاب) للسبويه، وفي كتاب القـزاز تحت عنوان(التّرخيـم في غير النـداء) ، " والترخيم هو حذف آخر الاسم المنادى في النداء تخفيفا ، ولـه موضعـان:

أ-الأسمـاء المختومة بتـاء التـأنيث، علما كـانت أو غير علـم

ب-الأعـلام المذكرة والمؤنثة الزائدة على ثلاثة أحرف بشرط أن تكون غير مركبة "(1)

يقـول ابن حبنـاء التميمـي:

" إن ابـن حـارث إن أشتق لرؤيتـه أو أمتدحـه فإن النّـاس قد علمـوا "(2)

وبـاعتبار أن " النـداء باب حذف واستخفـاف، فجاز الترخيم فيه لأنه حذف من الاسـم، وليس كذا غيره من الكـلام؛ ولكن الشاعـر إذا اضطر جاز له ذلك في غير النـداء."(3) وبيت حبنـاء التميمي مثال على ذلك ، فهـو " يريـد حارثة فرخّم في غيـر النـداء."(4)

وفـي هذا المجال يقول سيبويـه: " واعلم أن الترخيم لا يكون إلا في النداء إلاّ أن يضطر شـاعر."(5)

1-القزاز القيرواني: ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص110
2-المصدر نفسه،ص110
3-المصدر نفسه،ص111
4-المصدر نفسه،ص111
5-سامي عوض: مفهوم الضرورة الشعرية عند أهم علماء العربية حتى نهاية القرن الرابع هجري، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعتي:سمنان(إيران)، تشرين (سوريا)، عدد6،سنة 2011،ص62

وعند التدقيق فيما قاله القــزاز: (ولكن الشاعــر إذا اضطر)، وقول سيبويــه: (إلا أن يضطر الشاعر)، نلاحظ " أن الضرورة عند سيبويه مقصورة على الشعر، يأتي بها الشاعر لاستقامة الوزن، وسلامة القافية" وهــذا ما سار عليه القــزاز في كتابــه.

زيادة على ذلك يقــول سيبويه في كتابــه: " وما يجوز في الشعــر أكثر من أن أذكره لك هــا هنــا " (1) ويقول القــزاز: " ... ولو قصدت إلى ذلك وذكرت كل ما أخذ على الشعــراء في كل فن لعظم ما أردت تقليله، وصعب مــا قصدت تسهيلــه، وبعد ما أملت تقريبه..."(2) فهو نفس التفكيــر ونفس المنطــق.

ابــن جنــي: (ت 392هـ)

يقــول ابن جنــي في باب " ما يجوز لنا في الشعر من الضرورة ما جاز للعــرب أو لا ؟ " ســألت أبــا علي رحمه الله عن هذا فقال: كما جاز أن نقيس منثورنا على منثورهم، فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهــم ، فمــا أجازته الضرورة لهم أجازته لنا ، وما حضرته عليهم حظرتــه علينــا."(3)

فمن خلال هذا القول تبدو نظرة ابن جني للضرورة تتداخل مع نظرة القزاز ، ولإثبات هذا سأعرض مثال اشترك في وضعــه كل من ابن جني والقــزاز في كتابيهما، وقد ورد عند ابن جني في كتاب الخصائص تحت باب (هــل يجوز لنا في الشعر من الضــرورة ما جاز للعرب أو لا ؟ وفي كتاب القــزاز (ما يجوز للشاعر في الضــرورة) تحت عنــوان (أن يجري المعتــل من الأفعال مجرى السّالــم)، والمثــال هو:

" ألــم يأتيك والأنبــاء تنمــي بمــا لاقت لبــون بني زيــاد "(4)

يقول القــزاز: " يجوز للشاعــــر أن يجري المعتل/ من الأفعال مجرى السالم، فيجزم ولا يحذف حروف الاعتلال، وذلك أن العــرب استثقلت الحركات في اليــاء والواو فحذفتها عنهما، وأبقتهما سواكن في الرفع، إذا قــات: هو يدعــو وهو يرمــي ، فإذا جزمت حذفتهمــا، فقلت: لم يدع ولم يرم، فإذا احتاج الشاعر أجرى هذا المعتــل مجرى السالــم فأثبت اليــاء في الجزم؛ كأنه يتوهــم أنها كانت متحركــة فسكنهــا."(5)

1-سامي عوض: مفهوم الضرورة الشعرية عند أهم علماء العربية حتى نهاية القرن الرابع هجري، ص62
2-سامي عوض:مفهوم الضرورة الشعرية عند أهم علماء العربية حتى نهاية القرن الرابع هجري، ص62
3-مباركة خمقاتي: التحريف اللغوي في الشعر العربي القديم،ص207
4-القزاز القيرواني: ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص61
5-المصدر نفسه،ص61و62

ويقــول ابن جني معلقا على هذا البيت: " اعلم أن البيت إذا تجاذبه أمران: زيغ الإعراب، وقبح الزحاف، فــإن الجفــاة الفصحــاء لا يحفلــون بقبــح الزحــاف إذا أدى إلى صحــة الإعــراب."(1)

فالملاحظ أن كليهما يتفقان حول ضرورة إجراء المعتل من الأفعال مجرى السالم، من أجل استقامة الوزن والقافيــة، ولكن شرط عدم دخول اللحن، فمسألــة اللحن مرفوضــة عند كليهمــا.(2)

ي-مواضــع الضرورة عند القــزاز القيروانـــي:

أ-مــا يجوز في القوافـــي:

يقول القـــزاز: " والأخذ على الشعــراء كثير، لمن طلب مثل هذا، وإنما قصدنـــا إلى ضرب من عيـــوب الشعر، أردنا أن نقدّمه أمام ما نحن ذاكروه، ومما يجوز للشاعر في شعره من غامض العربية ومستنكرها في المنثــور، ليكون فيما أخبرنـــا حجة لهذا وأمثــاله، إذ كانت عيوبه أكثر من أن يتضمنهـــا كتاب أو يحيط بها خطــاب: من الفســاد في المعاني و الخطأ في اللغة واللحن في دقائق العربية وفساد التشبيه والتقديم والتأخير ووضـــع شيء غير موضعه واختلاف القوافـــي ، وما يجوز فيها من الإكفــاء والإقواء وغير ذلك."(3) وهذا موضع اختلاف القوافـــي ، ورغم أن القزاز أجازها إلا أنه عاب بعضها وعدّها من أقبح العيوب، بل ذهب إلى أكثر من ذلك حين تكلم عن اختلاف إعراب الأبيات القوافي وهذا في قولـه: " ولا يجوز لمن كان مولديا هذا ، لأنه جاء في شعر العرب على الغلط."(4) وهذا عندما تحدث عن الإكفاء، والذي يعرفه بقوله: " هو اختلاف إعـــراب الأبيـــات."(5)

1-مباركة خمقاتي: التحريف اللغوي في الشعر العربي القدديم،ص207
2-مباركة خمقاتي: التحريف اللغوي في الشعر العربي القديم،ص208
3-القزاز القيرواني: ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص55
4-المصدر نفسه،ص56
5-المصدر نفسه،ص55

***<u>الإقـــواء:</u>**

الإقـواء عند القـزاز: " هو نقصان حرف من فاصلة البيت وهو مثل قول الشاعر شبيب بن جعبل التغلبي:

حنّت نـوار ولات هنّا حنّت وبـدا الذي كانت نـوار أجنّت

لمّا ماء السّلى مشـــرولا والفرث يعصر في الإنـاء أرنتّ "(1)

" فنقـص من قولـه: (لما رأت ماء السّلـى مشروبا) عن العروض الأولـى"(2) أي الجزء الأخيـر من الصدر ، فالبيتـان من البحر الكامل وقد لحق العروض في البيت الثـاني القطع والإضمار، والقطع من علل النقص " هو حذف ساكـن الوتد المجمـوع وتسكين ما قبله، ويقع في التفعيلات الآتية (فاعلن- مستفعلن- متفاعلـن) " (3) أما الإضمار فهو زحاف ويكون " بتسكين الثاني المتحرك ، وهو خاص بالبحر الكامل."(4) فتحولت متفاعلـن إلى متفاعـل. وهذا يقلل من متانة الشعر وقد عبر عنه القـزاز بقوله: " كأنه مثل الذي أذهبت قـوة من حبله."(5) وهذا يجـوز رغم الضعف الذي يكتنفـه ولم يقبحه كما قبـح الإكفـاء.

1-القزاز القيرواني: ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص56
2-المصدر نفسه،ص56
3-غازي يموت: بحور الشعر العربي، دار الفكر اللبناني، بيروت، سنة 1992، ص31
4-المرجع نفسه،ص28
5-القزاز القيرواني: ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص56

***الإجـــازة:**

" هــي اختلاف حركات الردف في الشعــر المقيد، وقــال قوم: اختلاف القوافي في الحروف التي تتقارب مخارجهـــا" (1) كقــول الشاعـــر:

" والله لـــولا شيخنـــا عبـــاد لكمرونـــا عندها أو كـــادوا

فـرشط لما كره الفـــرشاط بفيشـــة كأنهـــا ملطـــاط

فجاء هذا بالدّال والطّاء وهذه الحروف تتقارب مخارجهـا."(2) وقد أجازها القزاز رغم اختلاف القوافي.

ب-النقـــص والزيـــادة:

***نقـص الحركـــة:**

قـــد تحذف الحركة من أجل وزن بيت أو استقامـــة قافية أو تبيين وترسيخ وجه من وجوه العربية، فإن كـــان هذا الأخيـــر فلا بأس، وإن كان من أجل وزن بيت أو استقامـــة قافية فهو لا يجوز عند أكثر النحويين واللغوييـــن، ولكن القزاز من القلة الذين أجازوا مثل هذا مادام وجد ما يقابله من شعر العرب.ويظهر هذا من قولـــه: " ومما يجوز له، على قول قوم من النحويين، حذف الإعراب إذا احتاج إلى ذلك، وهذا لا يكاج يجوز عند أكثرهم في كلام ولا شعر."(3) لأن الحركة مفتاح المعنى ومن دونها يفقد الكلام جوهره.

" وقـــد أنشد من أجـــاز حذف الإعـــراب:

فاليـــوم أشرب غيـــر مستحقب إثمـــا من الله ولا واغـــل"(4)

والشـــاهد في هذا البيت الفعل (أشـــرب) وقد جاز بالسكون، وهو فعل مستقبـل حقه أن يكون مرفوعا؛ وكـــان جواب القزاز بقولـــه: " فعل هذا فيه ما يفعل في الحركات التي تحذف استثقالا وليس بإعراب، ومن أنكـــره رواه(فـــآشرب)على الأمـــر لنفســـه."(5)

1-القزاز القيرواني: ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص57و58
2-المصدر نفسه،ص59
3-المصدر نفسه،ص104
4-المصدر نفسه،ص104
5-المصدر نفسه،ص105

***زيـــادة حركـــة:**

وقد وردت زيـــادة الحركة عند القـــزاز تحت عنـــوان " تحريك الساكن " (1) و " تحريـك المدغـم "(2) كقـــول الشـــاعر"

" وقـــاتم الأعماق خاوي المخترق مشتبـــه الأعلام لمّـــاع الخفـــق

وإنمـــا هو الخفق فحـــرّك لما اضطر إلى ذلك.(3)

***نقـــص حـــرف:**

ونقـــص الحرف من الضـــرورات التي تكلم عنها القزاز كثيرا، فالشواهد التي وردت في كتابه حول هاته المسألـــة تثبت ذلك، ومنه: " حـــذف التنوين لالتقـــاء الساكنين والأصـــل تحريكه، ومنه قول الشاعـــر:

فـــألفيته غيـــر مستعتب ولا ذاكـــر الله إلا قليـــلا

وكـــان حقه أن يحركه بالكسر لإلتقـــاء الساكنيين."(4) وهـــذا للتخفيف وتسهيـــل النطـــق.

***نقـــص كلمـــــة:**

ومن أمثلـــة نقص كلمـــة، كما قـــال الشاعـــر:

" فظلّـــوا ومنهم دمعه غـــالب له وآخـــر يجري دمعـــة العيـــن بالمهل

يريد: " ومنهـــم من دمعه غالب له، فحذف من ، لأن في الكلام دليلا عليها."(5) فهي ضرورة تحتم على الشاعـــر حذف كلمة لاستقامـــة الوزن أو للتخفيف بـــاعتبار أن في الكـــلام ما يدل عليهـــا.

1-القزاز القيرواني: ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص90
2-المصدر نفسه،ص132
3-المصدر نفسه،ص90
4-المصدر نفسه،ص94
5-المصدر نفسه،ص166

***زيـــادة كلمــة:**

من المعلوم أن زيـــادة اللفظ من زيادة المعنى، لكن في الشعر قد لا تفيد هذه الزيادة بحكم أنها لا تتعلق بالمعنى بل بالوزن والقافيــة، كقول الشاعــر:

" ومـــا عليك أن تقولــي كلّمـــا سبّــحت أو هللــت يـــا اللهــمّ

فأدخل حرف النداء على اللهــم، ولا يجوز ذلك في الكلام، لأن الميــم المشددة عوض منه، والجمع بين العوض والمعوض منــه لا يجوز إلا في الضرورة."(1) وقد أجاز الكوفيــون إدخال (يا) على اللّهمّ ، بخلاف البصريين الذين يــرون أن الميم بدلا من (يا) ، وحجة الكوفييــن أن الميم من (أمّ) ، إذا قلت أقصد ، ومعنى (اللّهمّ) عندهم (يا الله أمّنا بخير) ، وقد حذفت الهمزة ووصلت الميم باسم الله عز وجل.(2) وقد أجاز القزاز هــذا على روايـــة الكوفييــن.

***نقـــص جملـــة:**

فمن مـــواضع نقص الجملة، قول ابــن هرمـــة:

" وعليــك عهد الله إنّ بابـــه أهـل السيالـــة إن فعلت وإن لـم

يــريد: وإن لم تفعل، فحذف جملة الفعل والفاعل، واكتفى منهـــا بالجازم وهو (لـــم) " (3) فقد حذف الشـــاعر جملة مكتفيــا بدلالة ما قبلهــا عليهـــا.

***زيـــادة جملـــة:**

من مواضـــع زيــادة الجملة عند القــزاز كما قال الشـــاعر:

" صددت فــأكولت الصّدود وقلما وصـــال على طول الصّــدود يـــدوم

والشاهــد هنا زيادة (أطــولت الصدود) لأن هناك ما يدل عليها في عجز البيت وهو (*طــول الصّـــدود*) وأصل الكلام (*صددت وقلما يدوم وصال على طول الصّدود*) وهذا من حشو الكلام ويستعمله أغلب الشعــراء من أجل صحـــة الوزن أو القـــافية."(4)

1-القزاز القيرواني: ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص114
2-ينظر:المصدر نفسه،ص114
3-المصدر نفسه،ص181و182
4-المصدر نفسه،ص157

ج-التقديم والتأخير:

***تقديـــم الحركـــة:**

وقد ذكـــر تقديم الحركة عند القـــزاز في باب (الحـــذف والتغييـــر) ، وهو في قول الشاعـــر:

" عجبـت والدّهر كثيـر عجبـه من عنـــزيّ سبّني لم أضربـــه

كان الوجه: (لم أضربـــه) ، ثم رد حركة الهاء على الباء الساكنة وسكّن الهاء" (1) والملاحظ أن تقديم الحركـة يكون غالبا في القافية المقيدة ، ومـــا سوى ذلك إلا مـــا نذر للحفاظ على الـــوزن.

***تقـــديم الحرف:**

كمـــا قال الشـــاعر:

" عجبت من ليلاك وانتيابها من حيث زارتني ولم أورا بها

والشاهد هنا (أورا) وأصل اللفظ (أوأر) بمعنى: أشعر فقدّم الشاعر الرّاء وأخّر الهمزة وقد قلبت ألفا للتخفيف ، ولم تحذف الألف للجزم وأبقاها على لفظها، من أجل الحفاظ على الوزن."(2)

د-القلب والإبدال:

عندمـــا نبحث عن القلب والإبـــدال في الشعر نجد أنهما مصطلحـــان مترادفان، حتى في بعض الكتب نجد بعض الأمثلـــة وضعت في باب الإبـــدال ونفسهـــا بنفس الشرح في كتب أخرى في بـــاب القلب، فهناك تداخل بينهمـــا، ومما ذكر عند القـــزاز في بـــاب القلب (3)، كما قـــال الشـــاعر:

" كـــانت فريضة ما أتيت كما كـــان الزّنـــاء فريضـة الرجـــم "(4)

فالملاحظ أنّ هناك قلبا، والوجه أن يقول: " كما كان الرّجم فريضة الزناء ، ويصح هذا في الشعر إذا علم معنـــاه وكان مشـــاعا."(5)

1-القزاز القيرواني: ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص143
2-المصدر نفسه،ص183
3-المصدر نفسه،ص150
4-المصدر نفسه،ص150
5-المصدر نفسه،ص151

اما ما تعلق بالإبدال عند القزاز فقد ورد في مواضع عدة، كإبدال حركة بحركة، أو حرف بحرف، وكلمـة بكلمة واسم مفرد باسم مفرد...

***إبـدال حركـة بحركـة:**

كقـول الشـاعر:

" إذا اعوججن قلت صـاحب قوم بـالدّو أمثال السّفين العـوّم

فقـال: صاحب ولم يعرب. مع أن الملاحظ في تسكينها غلط بحكم أنّه يمكن ترخيم اللفظ فيصبح (صاح) فـأصل اللفظ (يـا صاحب)" (1)

***إبـدال الحرف من الحرف:**

من علامات إبدال الحرف بالحرف إبدال يـاء الإضافة ألفا للتخفيف، كما يقولون في: " (يا غلامي) (يا غلامـا) فيبدلون الياء ألفا ، لأن الألف أخف من الياء والفتحة أخف من الكسرة. كقول الشاعر: يا ابنة عمّا لا تلومـي واهجعـي "(2) والشـاهد هنا (يـا ابنة عمّا) والأصل (يا ابنة عمّي) والملاحظ هنا أن الشاعر ليس في موضع اضطـرار فيمكنه إعـادة اللفظ إلى أصلـه ولا ينكسر الوزن، " وقد قـال قوم يجوز هذا في الشعر والكلام لأنه أحد لغـات الإضافة كما كان الحال في مثـال: (يـا غلامي) " (3)

***إبـدال الكلمـة من الكلمـة:**

من أوجه إبدال الكلمـة من الكلمة ما ذكره القزاز: إجراء (سـوى) مجرى (غير)، وهذا يجوز للشاعر فيعمـد إلى " إجراء ما لا يكون إلا ظرفا مجرى غيره من الأسمـاء، من ذلك أن (سـواك) لا يكون إلا ظرفا ، تقول: (جاءنـي رجل سواك) أي يقوم مقامك ؛ (وزيد سواك) مثلا منصوب على الظرف لأنه لم يتمكن في الأسمـاء، فإذا جعلته بمعنى (غيـر) أدخلته في الأسمـاء وأدخلت عليه حروف الجر، كما قال الشاعر:

تجـانف عن جوّ اليمامة ناقتـي ومـا قصدت من أهلهـا لسوائكـا

والشـاهد هو (لسوائكـا) فأدخل لام الجر عليها ، وجعلها بمعنى (غيـر)" (4) وهذا من الاضطـرار فـي الشعـر.

1-القزاز القيرواني: ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص105
2-المصدر نفسه،ص112
3-المصدر نفسه،ص112
4-المصدر نفسه،ص178

***إبـــدال اسم مفـــرد من اسم مفـــرد:**

إبـدال اسم مفرد من اسم مفرد يأتي على ضربين: ضرب جاز في الشعر دون الكلام ، وضرب جائز في كليهمـــا فيخرج القول من دائرة الضرورة.(1) ومن أمثلة ما يجوز في الشعر دون الكلام مثل قـول الشاعر:

" صبّحن من كـاظمة الخصّ الخرب يحملـــن عبّـــاس بن عبد المطلب

يريـــد: عبد الله بن عبـــاس فذكر أبـــاه مكانه اضطـــرارا."(2)

ومن مواضـــع الاضطـــرار : " أن يشتق للمسمـــى من اسمه اسما آخر، ويوقعـــه عليه بدل اسمه ، كما قـــال الشـــاعر:

ونســـج سليـــم كلّ قضـــاء ذائـــل

يريـــد بقولـــه: (سليـــم) / (سليمـــان)، وبقوله: (قضـــاء) أي محكمـــة."(3)

أمـــا ما يصلح في الشعر وغيره أن تأتي بصفة معلومة للاسم المحذوف كصفة علي بن أبي طالب رضي الله عنـــه (أبـــا تراب)... إلـــى غيـــر ذلك.(4)

والملاحظ في الضـــرورة الشعر على العموم من خلال كتاب القـــزاز أن فضيلة الوزن عند الشعراء تفضل عن اللحـن في اللغـــة ، حتى المواضع التي يمكن فيها التغيير وإعادة البناء بسهولة لم يتم تغييرها لغرض في أنفسهـــم، أو لشذوذ استحسنوه ، أو قاعدة غابت على النقـــاد، ورغم ما قيل تبقى أسرار بناء القصيدة مستترة فـــي أنفس الشعـــــراء.

1-ينظر:القزاز القيرواني: ما يجوز للشاعر في الضرورة،ص165
2-المصدر نفسه،ص165
3-المصدر نفسه،ص166
4-ينظر: المصدر نفسه،ص166

قائمة المصادر والمراجع

1-أبو الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني:العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،تح:محمد محي الدين عبد الحميد،ج1،عاصمة الثقافة العربية،الجزائر،سنة2007.

2-أبو الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني:العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،تح:محمد محي الدين عبد الحميد،ج2،عاصمة الثقافة العربية، الجزائر،سنة،2007.

3-أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني،العمدة في صناعة الشعر ونقده،تح:النبوي عبد الواحد شعلان،ج2،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط1،سنة2000.

4-اسماعيل باشا البغدادي:هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين،وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية،استانبول،سنة1955.

5-ابن خلكان:وفيات الأعيان وأنباء الزمان،تح:إحسان عباس،دار صادر،بيروت،مج2.

6-أبو عبد الله بن أبي القاسم:أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلي،ج1،تح:مصطفى مرزوقي،العميد للنشر والتوزيع،المسيلة-الجزائر،سنة2014.

7-ابن عذارى المراكشي:البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تح:إحسان عباس،ج4،دار الثقافة،بيروت،ط2،سنة2006.

8-القزاز القيرواني:ما يجوز للشاعر في الضرورة،تح:المنجي الكعبي،الدار التونسية للنشر،تونس،ط2.

9-ابن منظور:لسان العرب،دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر،لبنان.

10-محمد مرتضى الحسني الزبيدي:تاج العروس وجواهر القاموس،ج14،تح:عبد الحليم الطحاوي،مطبعة حكومة الكويت،سنة1974.

11-ياقوت الحموي:معجم الأدباء،ج18،تح:أحمد فريد رفاعي،مطبوعات دار مأمون بالقاهرة،سنة1936.

12-احسان عباس:تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري)،دار الشروق للنشر والتوزيع،عمان،سنة1997,

13-أحمد أحمد بدوي:أسس النقد الأدبي عند العرب،مطبعة الرسالة،مصر،ط1،سنة1985.

14- بشير خلدون:الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،سنة1981.

15-بن قدامة المقدسي:المغنى في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني،ج10،دار الفكر،بيروت،ط1،سنة1984.

16-حنا الفاخوري:تاريخ الأدب في المغرب العربي،دار الجيل،بيروت،ط1،سنة 1996.

17-الحسن السائح:الحضارة الإسلامية في المغرب،دار الثقافة للنشر والتوزيع،دار البيضاء-المغرب،ط2،سنة1986.

18-رمضان بشير التليسي:الإتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي من خلال القرن الرابع هجري العاشر ميلادي،دار المدار الاسلامي،بيروت،ط1،سنة2003.

19-رابح بونار:المغرب العربي تاريخه وثقافته،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،ط2،سنة1981.

20-زروق محمد:دراسات في تاريخ المغرب،إفريقيا الشرق،الدار البيضاء-المغرب،سنة1991.

21-زيتون محمد محمد:القيروان ودورها في الحضارة الاسلامية،دار المنار للنشر،القاهرة،سنة1988.

22-سامي يوسف أبو زيد:النقد العربي القديم،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة،عمان،سنة2013.

23-طه علي خليفة الحجازي:أدب القيروان في عهد الأغالبة والفاطميين، المكتب الجامعي الحديث،الأردن،سنة2011.

24-عبد الله شريط:تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ط2،سنة1983.

25-عبد العزيز فيلالي:تلمسان في العهد الزياني،ج2،موفم للنشر والتوزيع،الجزائر،سنة2002.

26-عبد العزيز شهبي:تاريخ المغرب الاسلامي،مؤسسة كنوز الحكمة،الجزائر،سنة2013.

26-عمر فروخ:تاريخ الأدب العربي،ج4،دار العلم للملايين،بيروت،ط4،سنة1997.

27-عمار بوحوش:التاريخ السياسي للجزائر،دار البصائر،الجزائر،ط3،سنة2008.

28-عبد الحليم عويس:دولة بني حماد (صفحة مشرقة من التاريخ الجزائري)،دار الشروق،بيروت،سنة1980.

29-عمر بن قينة:أدب المغرب العربي قديما،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،سنة1994.

30-العربي دحو:الشعر المغربى من الفتح الاسلامى إلى نهاية الإمارات الإغليبية والرستمية والإدريسية،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،سنة1994.

31-عواطف محمد يوسف نواب:الرحلات المغربية والأندلسية،مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض،سنة1996.

32-عبد العزيز الكفراوي:تاريخ الشعر العربي،ج3،دار النهضة للطبع والنشر،الجزائر.

33-عمر فروخ:تاريخ الأدب العربى (القديم)،ج1،دار العلم للملايين،بيروت،ط4،سنة1981.

34-عبد المالك مرتاض:الأدب الجزائري القديم،دار هومه للطباعة والنشر،الجزائر،سنة 2005.

35-عبد الحميد حسين الهروط:النثر الفنى عند لسان الدين بن خطيب،در جرير للنشر والتوزيع،الأردن،ط1،سنة2006.

36-عثمان موافي:فى نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر فى النقدالعربى القديم،ج1،دار المعرفة الجامعية،سنة2000.

37-غازي يموت:بحور الشعر العربي،دار الفكر اللبناني،بيروت،سنة1992.

38-قحطان رشيد التميمي:اتجاهات الهجاء فى القرن الثالث الهجري،دار المسيرة،بيروت،سنة1990.

39-كمال السيد مصطفى:دراسات فى تاريخ وحضارة المغرب والأندلس،مركز الاسكندرية للكتاب،سنة1997.

40-محمد الطمار:المغرب الأوسط في ظل صنهاجة،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،سنة2010.

41-محمد علي دبوز:تاريخ المغرب الكبير،ج1،عالم المعرفة،الجزائر،ط1،سنة2013.

42-محمد عيسى الحريري:تاريخ المغرب الاسلامي و الأندلسي في العصر المريني،دار القلم،الكويت،ط1،سنة1975.

43-محمود أحمد حسن و أحمد ابراهيم الشريف:العالم الاسلامي في العصر العباسي،دار الفكر العربي،القاهرة،سنة1973.

44-محمد مرتاض:النقد الأدبي في المغرب العربي (نشأته وتطوره دراسة وتطبيق)،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،سنة2000.

45-محمد الحبيب بن خوجة:أبو الحسن حازم القرطاجنى (قصائد ومقطوعات)،الدار التونسية للنشر،تونس،سنة1972.

46-محمد زلاقي:بناء القصيدة المولدية في المغرب الاسلامي،دار بهاء الدين للنشر والتوزيع،الجزائر،سنة2013.

47-محمد مسعود جبران:فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب (المضامين والخصائص الأسلوبية)،المجلد1،دار المدار الثقافية،الجزائر،ط1،سنة2009.

48-محمد فهيم حسين:أدب الرحلات،عالم المعرفة،الكويت،سنة1989.

49-محمود حسن أحمد:قيام دولة المرابطيين (صورة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى)،دار الفكر العربي،القاهرة،سنة1996.

50-محمد الربداوي:الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت.

51-نجوى عثمان:مساجد القيروان،دار عكرمة،دمشق،ط1،سنة2000.

المجلات:

صفية طبني:النقد الأبي الجزائري القديم (نظرة علمية في المنهج والمحتوى)،حوليات الآداب واللغات،جامعة المسيلة،ماي2006.

صافية كساس:الرحلات العلمية من وإلى المغرب العربي ودورها في تنشيط الحركة العلمية والتعليمية بالمغرب العربي،مجلة الممارسات اللغوية،جامعة مولود معمري(تيزي وزو)،العدد8،سنة2012.

أنيسة بن جاب الله:أصناف الشعر في التصور النقدي لعبد الكريم النهشلي،مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري،جامعة محمد خيضر،بسكرة،العدد8،سنة2012.

سامي عوض:مفهوم الضرورة الشعرية عند أهم علماء العربية حتى نهاية القرن الرابع هجري،مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها،جامعتي:سنان (إيران)، تشرين(سوريا)،عدد6،سنة2011.

الرسائل الجامعية:

عبد القادر رضوان فاطمة:مدينة القيروان في عهد الأغالبة(184هـ -296هـ)،رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في التاريخ الاسلامي،جامعة أم القرى،سنة1991.

مباركة خمقاتي:التحريف اللغوي في الشعر العربي القديم،رسالة دكتوراه،جامعة قاصدي مرباح،ورقلة،سنة2011و2012.